وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

الموضوع

النقد الثقافي في ميزان النقد العربي بين التنظير والتطبيق

من إعداد الطالبة:

- مريم بن نقي

تحت إشراف الأستاذ:

- أ.د. عبد القادر بن عزة

لجنة المناقشة		
أ.د. سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي	جامعة تلمسان	رئيسا
د. حفيظة سليماني	جامعة تلمسان	ممتحنا
ا.د. عبد القادر بن عزة	جامعة تلمسان	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 1446-1447هـ / 2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم
Sidi

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من اشترط الله جل جلاله مرضاتها إلى الصابرة التي ما بخلت علي بدعائها، والدتي الغالية

إلى روح أبي الغالي رحمه الله

التى أبنائي الأعزاء، أميرة – نسيبة – محمد

إلى أختي نوال التي وجدت فيها رفيقة ودعما في بحثي.

الى من قاسموني رحم أمي وشاركوني حياتي

إخوتي، محمد، ابتسام

الي كل من أحب وكل من يحبني،

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي ووسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي

إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي راضيه من الله عز وجل النفع والانتفاع

شكر وعرفان:

كلمة حق معبرة عن ثناء صادق أقولها في فضل من ليس لي في جزاء إحسانهم إلا الشكر والعرفان بالجميل

إلى كل من ساندوني في هذا العمل ويأتي في مقدمة من أعني فضلهم وإحسانهم أستاذي الدكتور "عبد القادر بن عزة" الذي أفاض عليا بعلمه وأخلص لي النصح والتوجيه صاحب السريرة النقية والقلب الطيب والذي أشرف على هاته الرسالة وبذل جهدا مشكورا في تقويمه فله منه كل الفضل وله مني عظيم الشكر، وجزاه الله عن أمانة إشرافه وإرشاده خير الجزاء.

وأسجل شكري وعرفاني لعائلتي التي احتضنت هذا الجهد وساهمت في إتمامه عبر دعمها المعنوي والمادي الدائم. كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى عضوي المناقشة الأستاذ الدكتور "سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي"، والدكتورة "حفيظة سليماني" على قبولهما وتفضلهما لمناقشة هاته الرسالة وما تحمله من عبء القراءة مع ضيق الوقت وكثرة المشاغل وإلى أساتذتي الأفاضل بجامعة أبو بكر بلقايد تلمسان كلية الآداب واللغات الذين أفادونا بعلمهم وخبرتهم خلال الدراسة الجامعية، ونخبة أخرى إذ لا يتسع المقام لذكرهم. فهم في القلب والوجدان مذكورين أساتذة وزملاء وأصحاب وأقارب فلهم ولمن سبق ذكرهم خالص الشكر والعرفان.

.

مـــــقدمـــة

مقدمة

يشهد النقد العربي حراكا متسارعا وتداخلا في الاتجاهات الفكرية والنقدية وتنوع المرجعيات الفكرية، وذلك في سياق انفتاحه المتزايد على المنجز الغربي، وقد أسهم هذا التفاعل في انتقال النقاد العرب من تبني المناهج السياقية إلى استيعاب المناهج النسقية، وصولا إلى النظريات المرتبطة بما بعد الحداثة والنقد الثقافي.

وقد كان لهذا الحراك النقدي العالمي أثراً واضحاً على المشهد النقدي العربي، إذ سارع النقاد العرب إلى استيعاب المناهج الغربية الحديثة، ساعيين التى تكييفها مع خصوصية النص العربي والعمل على توظيفها في قراءته وتحليله.

وفي خضم التحولات المعرفية، والحراك الثقافي المتسارع نشأ النقد الثقافي، بوصفه اتجاها فكريا جديدا ذي مرجعيات غربية، سعى إلى التوطن في السياق العربي من خلال جهود عبد الله الغذامي الذي حاول بلورة مشروع نقدي حديث يستند إلى المناهج المعاصرة ويؤسس لأفق مغاير في مقاربة النص والثقافة، فالنقد الثقافي يسعى إلى تحرير الخطاب النقدي من هيمنة المؤسسة الأدبية التي قيدت وظائفه ضمن حدودها، رغم أن مجاله يتجاوزها بكثير، لذلك ارتأينا أن نخصص هذا البحث لدراسة النقد الثقافي، متبعين مسارات تشكله في السياق العربي ومحللين الكيفية التي تفاعل بها كل من الناقد والمثقف مع هذا الخطاب، من خلال تتبع مواقفهما النظرية وممارستهما التطبيقية، بغية فهم أعمق لإمكانات هذا الاتجاه النقدي وحدوده في السياق العربي، وبالنظر إلى طبيعة تفاعل النقد العربي مع مشروع النقد الثقافي، ومدى نجاحه في استيعاب آلياته وتفعيل مفاهيمه، إضافة إلى التحديات والإشكالات التي رافقت محاولات تطبيقه على النصوص العربية، انطلاقا من هذا يمكن صياغة الإشكالية العامة للمذكرة في:

- إلى أي مدى تمكن الخطاب النقدي العربي من استيعاب آليات النقد الثقافي وتكييف مفاهيمه مع السياق الثقافي العربي ؟

- ويتفرع من هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية ومن أبرزها:

- كيف تلقى النقاد العرب هذا الاتجاه الجديد ؟
- ما مدى قدرة النقاد العرب على استيعاب أدوات النقد الثقافي وتطويعها بما يتناسب مع النص العربي ؟
- وهل تحقق نوع من التوازن بين التنظير والتطبيق ؟

- هذه الأسئلة المحورية، شكلت منطلقاً أساسيا لهذا العمل، وأسهمت في تحديد اشكاليته، التي تم التعبير عنها من خلال العنوان " النقد الثقافي في ميزان النقد العربي بين التنظير والتطبيق.

وسبب اختياري هو أني أردت أن أقرأ النصوص الأدبية من زوايا جديدة تكشف ما هو مخفي مثل السلطة أو القيم الثقافية والنقد الثقافي سياعد على ذلك.

سعيا للإجابة عن هذه الاشكاليات، تم تنظيم محتوى البحث في إطار منهجي يتألف من مقدمة وفصلين رئيستين تليهما خاتمة توجز النتائج، استهل الفصل الأول بالجانب النظري تهدف إلى توظيف المفاهيم المفتاحية، واستخراج الجذور التاريخية للنقد الثقافي في الغرب، تم تتبع حضوره في الخطاب وذكر أبرز رواده في كل من الدراسات الغربية والمشهد النقدي العربي مع الإشارة إلى أسسه الفكرية والفلسفية التي يستند إليها، أما الفصل الثاني تناولت جانبا مقارنا بين التنظير والتطبيق في النقد الثقافي، سواء في الغرب أو في العالم العربي، من خلال عرض أبرز الرؤى النظرية ثم الوقوف على نماذج عملية تبين كيفية تطبيق هذا النقد في قراءة النصوص، أما في الخاتمة، فقد جمعت أبرز النتائج التي أفضت إليها الدراسة بما يسهم في توضيح الإجابات الممكنة عن الإشكاليات التي انطلقت منها، وقائمة للمصادر والمراجع وقائمة المحتويات البحث (فهرس).

ولأن البحث حول النقد الثقافي، فقد كان أول وأهم مصدر استخدمته كان كتاب "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية "، آرثر برجر Arther Burger "النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية ". وقد اعتمدت على مجموعة من المراجع التي أسهمت في توجيه مساره وتوضيح معالمه، من بينها: "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" لحفناوي بعلي، "دليل الناقد الأدبي" لميجان الرويلي وسعد البازغبي، كتاب ليتش في النقد الثقافي: النظرية الأدبية وما بعد البنيوية" بالإضافة إلى الكتب المتخصصة والمجلات العلمية والدراسات الأكاديمية، اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في استقصاء الأسس النظرية التي يرتكز عليها النقد الثقافي، مع تسليط الضوء على أبرز المفاهيم والأطروحات التي شكلت مرجعيته في السياقين الغربي والعربي، مما مكن من تتبع تطور الطرح العربي، ومساراته التنظيراتية في هذا الحقل.

واجه البحث جملة من الصعوبات أبرزها اتساع الحقل المفاهيمي للنقد الثقافي وتداخل مرجعياته بين المعرفي والفلسفي والأدبي، قلة الأبحاث التي تعنى بتطبيق مفاهيم النقد الثقافي على نصوص عربية لانشغالها بالتنظير، وكذا المدة المحددة لإنجاز المذكرة لا تكفي أحيانا للتعمق في محل جوانب الموضوع.

نرجو أن يكون هذا البحث خطوة أولى نحو ابراز أهمية هذا الاتجاه النقدي، وتمهيد الطريق أمام دراسات لاحقة أكثر اتساعا وعمقا.

الفصل الأول: النقد الثقافي
الأسس والمفاهيم

الفصل الأول: النقد الثقافي: الأسس والمفاهيم

تمهيد:

يعد النقد الثقافي من أبرز الإتجاهات النقدية الحديثة التي برزت في الساحة الأدبية الفكرية، حيث يسعى إلى تجاوز حدود النقد الأدبي بالبحث في الأنساق الثقافية الكامنة خلف النصوص الأدبية والخطابات المختلفة، فهو لا يقتصر على دراسة البنية الجمالية للنصوص بل يعمل على تفكيك الأنساق الثقافية والاجتماعية التي تشكل الوعي الجماعي والثقافي السائدين.

– ظهر النقد الثقافي نتيجة لتطور الدراسات النقدية والفلسفية، واستفاد من عدة مدارس فكرية مثل **البنيوية والتفكيكية وما بعد الحداثة،** وقد أسهمت هذه التيارات في تشكيل رؤية نقدية جديدة تستند إلى تحليل الخطابات الثقافية بوصفها انعكاسا للسلطة والمعرفة والتاريخ.

– يتناول هذا الفصل مفهوم النقد الثقافي، ونشأته في الفكر الغربي والعربي، مع تسليط الضوء على أبرز رواده، سواء في الدراسات الغربية أو العربية، كما يستعرض الأسس الفكرية والفلسفية التي يقوم عليها، والتي جعلت منه منهجا نقديا يسعى إلى قراءة النصوص في سياقاتها الإجتماعية والثقافية للكشف عن المعاني الضمنية التي قد تتوارى خلف اللغة والأسلوب الأدبي.

1) النقد الثقافي انفتاح المستوى الدلالي للمصطلح

يعد النقد الثقافي من أبرز الاتجاهات النقدية والمعرفية الحديثة التي ظهرت في العالم الغربي، حيت تجلى ذلك بوضوح من خلال الدعوة إللى تجديد النقد الأدبي والتوجه نحو تجاوز المفاهيم التقليدية وعلى رأسها الجمالية إلى نقد يهتم بالثقافة لكل، فهو يتجاوز النصوص الأدبية.

ماهيته:

مصطلح النقد الثقافي يتكون من مفهومين هما "النقد" و"الثقافة" سيتم توضيح كل منهما على حدى أولا، ثم سيتم الانتقال إلى شرح المفهوم العام.

تعريف لغة: نقد الدرهم، وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك ونقد الدراهم أي أخرج منها الزيف، وناقدا فلانا إذا ناقشته بالأمر،[1] إذن فهو بيان أوجه الحسن والقبح في شيء ما.

تعريف اصطلاحاً: "ولكن النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو الشعر خاصة يبدأ ا بالتذوق أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم والتقويم، خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجا واضحا مؤصلا على قواعد – جزئية أو عامة – مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز".[2]

الثقافة لغة: جاء في لسان العرب عند ابن منظور "ثقف الرجل ثقافة، أي صار قادحا فطنا، وثقف الشيء حذقه، ورجل ثقف، لقف بين الثقافة واللقافة والثقاف هو ما يسوى به الرمح".[3]

الثقافة اصطلاحاً: تباينت آراء النقاد والأدباء حول مفهوم "الثقافة"، مما أدى إلى تعدد التعريفات والتصورات لهذا المصطلح.

– رايموند ويليامز[4] يعتبر الثقافة على أنها نظام دلالي يقضي حتما بالنظام الاجتماعي المعين إلى حتمية استكشافية.[5]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، مادة (نقد) ح 14، ص 254.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983، ص 5.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثقف)، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكي، مجمع لسان العرب، مج 3، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 518.

[4] رايموند وليامز ناقد أدبي ومنظر ثقافي في بريطانيا

[5] ينظر ميجانا الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2002، ص140-141.

– وعند "كريستوف جينن Christophe Genin [1] " الثقافة حالة للفكر فالشخص يصبح مثقفا حينما يتجه صعوداً نحو فكرة الكمال."[2]

وفي هذا الصدد يعرفها لنا الغذامي فيقول "الثقافة مجرد حزمة من أنماط السلوك المحسوسة، كما هو التصور العام لها، لكما أنها ليست العادات والتقاليد والأعراف ولكن الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي الذي يتبناه آرثر هي آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات ومهمتها هي التحكم في السلوك".[3]

– وبالتالي يمكن القول إن مفهوم الثقافة ليس ثابتا، بل يتشكل ويتطور بناءاً على السياقات الفكرية والاجتماعية المختلفة.

[1] كريستوف جينن: هو فيلسوف فرنسي معاصر، يهتم بالفلسفة الجمالية والثقافة والفن من أبرز أعماله كتابه "فلسفة الثقافة".

[2] هار لمبسوهيليون، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد محسن، دار ديوان للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص7.

[3] عبد الله الغذامي النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2005، ص 74.

2) النقد الثقافي: الأسس والمفاهيم

أسهمت الدراسات الثقافية في ظهور النقد الثقافي كحقل معرفي جديد يسعى لتأكيد وجوده من خلال دراسة قضايا جديدة يُزعم أن النظرية الأدبية قد أهملتها.

– النقد الثقافي يقوم على كشف المقولات المهيمنة داخل الثقافة وفحص تأثيرها على تشكيل الفكر والمجتمع[1]، وقد بدأت ملامحه في الظهور في منتصف الخمسينات من ق 20م.

– النقد الثقافي ليس منهجا ثابتا بل هو أداة تحليلية مرنة تتكيف مع طبيعة النصوص والظواهر، مما يجعله وسيلة لفهم الثقافة بطريقة أكثر عمقا ونقدا.

– النقد الثقافي لا يقتصر على موضوع معين أو منهجية محددة، بل يفتقر إلى تعريف دقيق أو معنى واضح وما سيُعرض هنا ليس سوى مجموعة من الأراء والمقولات المطروحة حوله، والتي يمكن اعتبارها جزءا من مفاهيمه.

– حيث جعل منه آرثر برجر "نشاطا وليس مجالا معرفيا قائما بذاته"[2]، أي إنه ليس فرعا علميا أو تخصصا مستقلا بحد ذاته بل هو عملية أو نشاط فكري يتداخل مع مجالات متعددة مثل الأدب، الفلسفة، التاريخ، علم الاجتماع ....

كما يؤكد ذلك حفناوي بعلي "النقد الثقافي على أنه نشاط وليس مجالا معرفيا قائما بذاته ... وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد ..... واهتم بجملة من العناوين والقضايا البارزة".[3]

---

[1] عبد الله الغدامي، "النقد الثقافي" قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 59.

[2] آرثر برجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم ورمضان بشطاوي، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص30.

[3] حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2007، ص 11.

– يقول الدكتور عبد الوهاب أبو هاشم "إن النقد الثقافي هو منهج سبقتنا إليه الغرب له أدواته للكشف عن المضمر النسقي في العمل الأدبي"[1] أي إنه نشأ في الغرب قبل أن يتم تبنيه في السياقات العربية، وهو يعتمد على أدوات تحليلية تهدف إلى كشف الأنساق الثقافية المضمرة داخل العمل الأدبي.

– ويرى كل من سعد البازغي وميجان الرويلي أن النقد الثقافي "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها[2]، أي إنه يهتم بدراسة الثقافة بكل مظاهرها، فهي لا تقتصر على جانب معين من الثقافة بل تشمل الجوانب الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكيف تتغير عبر الزمن بفعل العوامل المختلفة.

ويرى الموسوعي " بأن النقد الثقافي فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحض من المساس به ... ولأن النقد الثقافي فعالية لا فرعا معرفيا .... عبر استخدام واسع للنظريات والمفاهيم التي تتيح القرب من فعل الثقافة في المجتمعات".[3]

أما عبد الله الغذامي فقد عرف النقد الثقافي بقوله: "هو فرع من فروع النقد النصوصي العام ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، وما هو غير رسمي ومؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء، وهو معنى بكشف لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي وإنما همه كشف المخبوء تحت أقنعة البلاغي الجمالي ".[4]

ويستند الغذامي إلى تعريف ليتش للنقد الثقافي الذي يرى أن الاهتمام بالخطاب لم يعد مجرد تحليل النصوص الأدبية فقط، بل أصبح يشمل كيفية تأثير الخطاب على عدة مجالات، وهذا التغير لا يعني فقط تغيّر

[1] عبد الوهاب أبو هاشم، مشروع النقد الثقافي، مقدمة في ملتقى الإبداع، اللقاء الخامس، يوم الخميس 17 افريل 2003.

[2] ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، د ط، د ت، ص 305.

[3] محسن باسم الموسوعي: النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2005، ص 12.

[4] عبد الله الغذامي، مرجع سابق، ص 20.

مادة البحث، بل يعكس أيضا تحولا في منهج التحليل، إذ يتم استخدام أدوات ومفاهيم مستمدة من السوسيولوجيا، التاريخ، السياسة لفهم الخطاب، إذ يظل التحليل الأدبي النقدي جزءا أساسيا من هذا المنهج الجديد (المنهج الثقافي)، حيث يقول "حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغييرا لا في مادة البحث فحسب، والحنه أيضا تغير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي".[1]

– وبذلك يتضح أن النقد الثقافي لا يقتصر على تحليل النصوص الأدبية فحسب، بل يتناول كل أشكال الإنتاج الثقافي، ويسعى إلى تفكيك الخطابات.

3) نشأته:

لقد كان للدراسات الثقافية دور كبير وأثر في نشأة وتطور النقد الثقافي، فالدراسات الثقافية تتناول كل المواضيع ذات الصفة الثقافية والذهنية والفكرية.

– جاء النقد الثقافي بعد مرحلة ما بعد الحداثة.

وقد برز مصطلح النقد الثقافي من طرف المفكر الألماني " تيودور أدورنو" سنة 1949 في مقالة عنوانها "النقد الثقافي والمجتمع "، "وفي المقالة هجوم على ذلك اللون من النشاط ... بوصفه نقد ا برجوازيا بمثل مسلمات الثقافة السائدة ببعدها عن الروح الحقيقية للنقد وما فيها من نزوع سلطوي السائد والمقبول عند الأكثرية "[2]، حيث ربط "أدورنو" النقد الثقافي بالبرجوازية الأوروبية.

[1] عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 31-32.

[2] ميجان الرويلي، مرجع سابق، ص 306.

ليأتي بعده زميله "يورغن هابرماس" بكتاب بعنوان "المحافظون الجدد"، "النقد الثقافي والحوار التاريخي"، " ذلك أن هابرماس لم يعن بتعريف المفهوم واكتفى بدلالة شائعة كتلك التي تضمنتها مقالة أدورنو"[1].

تعد هذه المحاولات أشبه بمساع فلسفية تحمل اسم النقد الثقافي دون أن تمتلك جوهره الحقيقي، اذ لم يظهر النقد الثقافي بشكل فعلي إلا في الثمانينات من القرن 20م، وذلك في الو.م.أ حيث استفاد هذا النقد من البنيوية، اللسانية والأنتروبولوجيا والتفكيكية، ونقد ما بعد البنيوية والحركة النسوية، ونقد الجنوسة وأطروحات ما بعد الحداثة".[2]

إن مصطلح النقد الثقافي لم يتبلور واقعيا إلا مع الناقد الأمريكي "فنست ليتش" الذي أصدر سنة 1992 كتابا قيما في هذا الشأن "نظرية الأدب ما بعد الحداثة"، وهو أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظريات الأدب لما بعد الحداثة واهتم بدراسة الخطابات.[3]

– وصل النقد الثقافي إلى ثقافتنا العربية بفضل جهود "عبد الله الغذامي"، التي تجلت في كتابه "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية" وقد سعى إلى تبني أفكار ليتش، متوقفا عند الأبعاد الخفية في الخطاب الشعري العربي منذ العصر الجاهلي وصولا إلى"أدونيس"، حيث قدم مفهومه للنقد الثقافي بوصفه بديلا للنقد الأدبي التقليدي، موجها اهتمامه نحو دراسة الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص الأدبية، واعتبر النقد الأدبي في شكله التقليدي لم يعد قادرا على تفسير وتحليل الظواهر الثقافية الحديثة، مما استدعى إلى البحث عن منهج أكثر شمولية يمكنه الكشف عن الخطابات المتخفية خلف النصوص، وقد شكل هذا الكتاب نقطة تحول في النقد العربي، مما أدى إلى انتشار دراسات تهتم بهذا المجال، وسعى كل ناقد إلى تقديم رؤية متميزة عن غيره.

---

[1] ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، ص 3.

[2] جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، موقع ديوان العرب، صادر بتاريخ 08/07/2012، تاريخ الدخول 24/10/2014.

[3] سمير خليل: النقد الثقافي من النص الأدبي التي الخطاب، دار الجواهري، بغداد، ط 1، 2012، ص 11.

ولقد شهد النقد الثقافي تطورات متسارعة خلال العقود الأخيرة، مع ازدياد التركيز على تحليل الخطابات السياسية والإعلامية، ودراسة تحليلات الهوية والسلطة الجندر... في مختلف النصوص الثقافية كما ساهم في تعزيز فهم أعمق لدور الثقافة في تشكيل العلاقات الاجتماعية، حيث أصبح من الضروري دراسة الخطابات السائدة ليس بوصفها انعكاسا للواقع، بل كأدوات تساهم في إعادة تشكيله وإنتاجه وفقا لأنساق معينة[1].

– أبرز رواده:

ويعد النقد الثقافي من الحقول النقدية التي استقطبت اهتمام العديد من المفكرين والباحثين في العالم الغربي والعربي، حيث ساهم عدد من الرواد في بلورة مفاهيمه وتطوير مناهجه، يمكن تقسيم هؤلاء الرواد إلى قسمين: المفكرون الغربيون الذين أسسوا النقد الثقافي من خلال دراساتهم الفلسفية والاجتماعية، والمفكرون العرب الذين سعوا إلى توطينه ضمن السياق العربي.

أ– في الدراسات الغربية:

ظهر النقد الثقافي كغيره من الاتجاهات النقدية الحديثة في الغرب، حيث حظي بانتشار واسع و اهتمام كبير، وسنتناول أبرز المفكرين الذين أسهموا في تطويره :

وقد ذكر حفناوي بعلي أهم أسماء الأعلام الرواد للخطاب الثقافي: "فرنسا: رولان بارت –كلود ليفى ستراوس – ميشيل فوكو – لويس ألتوسير– جاك لكان – بيير بورديو–جاك دريدا — أ.ج غريماس. ألمانيا: يورجين هابرماس –تيودور أدورنو – والتر بنجامين – ماكس هوركهايمر – هربرت ماركوز. الو.م.أ: إدوارد سعيد – فكتور تيرنير – كليفود جرتيز– فريدريك جيمسون — كندا: ميتشل ماكلون – إتش أنيس – نورثروب فراي. انجلترا:

[1] ستوارت هول: الدراسات الثقافية التمفصل، الهيمنة والصراع، تر: محمد مفضل، عالم المعرفة، 35.

ليفس – رايموند وليامز – ستوارت هول– ريتشارد هوغارت– مارى دوغلاس — وليم إمبسون. إيطاليا: أنطونيو غرامشي – أمبرتو إيكو."

1– ستوارت هول:[1]

ناقد أدبي، عالم اجتماعي ماركسي بريطاني الجنسية، كان عضوا في مركز الدراسات الثقافية وساهم في تطوير الحقل بتأثيرات ماركسية متجددة، ظل يؤمن بأهمية ارتباط هذا المجال بالواقع، إذ كان يرى أن المعرفة والفكر يكتسبان قيمتهما الحقيقية من خلال تفاعلهما مع المجتمع، وقد كان لكتابات كل من أنطونيو غرامشي وألتوسير تأثير خاص على الدراسات الثقافية البريطانية.

2– بيير بورديو:[2]

عالم اجتماع فرنسي، أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، فهو يرى أن البصيرة الثقافية تتمثل في القدرة على فهم الشفرات وتأويلها، لكن هذه القدرة ليست متاحة لجميع الطبقات الاجتماعية بنفس الدرجة.

3– أشيش كاندي:

ناقد ثقافي المرجع الأهم في الدراسات الثقافية في جنوب شرق آسيا، وقد قام بتطوير هذا الحقل ليصبح ممارسة محلية تمتد إلى مجالات المعرفة والهوية في مشروعه الثقافي، قام بالتطرق إلى عدة معطيات منها: العقلانية، التنمية، الدولة المستقلة، العلم ...

4– ميشال فوكو:

[1] ستوارت هول: من أبرز الأسماء في مركز برمنغهام للدراسات الثقافية وكان من مؤسسيه ولديه قول شهير "الهوية ليست شيئاً نملكه، بل شيء نتشكل فيه."

[2] بير بورديو: اشتهر بتحليله للعلاقات بين الثقافة والسلطة والطبقات الاجتماعية.

فيلسوف فرنسي، يعد ميشال فوكو من أبرز المفكرين الذين ساهموا في تطوير النقد الثقافي، حيث استكشف دور السلطة في تشكيل المعرفة والهويات الثقافية والاجتماعية موضحا كيفية نشوء الأنظمة الثقافية وتطورها عبر التاريخ ولديه عدة أعمال نذكر منها: "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"، "أركيولوجية المعرفة"، "حب الغلمان عند اليونان"، " تاريخ الجنسانية"، "الكلمات والأشياء"، "وهو بحث حفري في العلوم".[1]

5- ريتشارد هوغارت:

يعد من الرواد المؤسسين للدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنجهام، ويعد كتابه "فوائد القراءة والكتابة " مرجعا أساسيا في هذا المجال، "حيث تمكن من تنمية حركة فكرية دولية توظف الماركسية في الدراسات التفافية".[2]

6- ريموند وليامز:

يرى وليامز أن الثقافة كيان متكامل يشتمل الأبعاد المادية والفكرية والروحية، وقد تتبع مراحل تطورها وكتب العديد من المؤلفات حولها منها "الثقافة والمجتمع"، "الثورة طويلة الأجل" وقد نشترت مجلة "نيولفت ريفيو العديد من مقالاته".[3]

لقد كان تأثير هؤلاء المفكرين في النقد الثقافي بالغ الأهمية، حيث ساعدوا في تشكيل منظور جديد الدراسة النصوص والخطابات، فلقد لعب هؤلاء الرواد دورا محوريا في تطوير هذا المجال، حيث قدموا تحليلات عميقة حول العلاقة بين الثقافة والسلطة والمعرفة، لقد ساهمت أفكار هؤلاء الرواد في إرساء أسس النقد الثقافي.

ب- في المشهد النقدي العربي:

[1] أقلام الديوان، اقتباس من مقالة لادوارد سعيد بعنوان ميشان فوكو، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، الاتنين، 19 يونيو 2006م.

[2] عبد الفتاح العقيلي: النقد الثقافي قضايا وقراءات، مكتبة الزهراء، الرياض، السعودية ، ط 1، 2003 ، ص 91.

[3] رايموند وليامز: الكلمات المفاتيح: تر: نعمان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2005، ص 236.

شهد النقد الثقافي في العالم العربي تطورا. ملحوظا في العقود الأخيرة، حيث تأثر بالتحولات الفكرية في الغرب، وقد عملوا على تكييفها مع السياقات العربية، وهناك عدة مفكرين أسهموا في ترسيخ النقد الثقافي من خلال دراساتهم وأعمالهم أعمالهم الفكرية وسنقوم باستعراض نماذج من النقد الثقافي العربي.

1- مالك بن نبي :

مفكر جزائري له إسهامات كبيرة في الفكر الإسلامي الحديث، حيث تعتبر الجزائر من الدول التي عرفت البدايات الأولى للنقد الثقافي ويتجلى ذلك في كتابه "مشكلة الثقافة" الذي صدر عام 1959، وبعد كتاب مالك بن نبي ذا قيمة تاريخية وتأسيسية في ترسيخ الوعي بقضية الثقافة العربية، حيث يوضح أن "أول خطوة للتوجيه الثقافي هو تعليم الناس التخلق والتعايش فيما بينهم ثم التوجيه للعمل الجماعي".[1]

2- زكي نجيب محمود :

فيلسوف وكاتب أكاديمي، أستاذ فلسفة مصري، تميز الدكتور نجيب محمود بممارسته للنقد الثقافي، وهو ما يتجلى بوضوح في العديد من مؤلفاته ومن أبرزها "في تحديث الثقافة العربية" و"تجديد الفكر العربي" حيث ناقش قضايا الثقافة العربية والتحديات التي تواجهها، كما تناول العلاقة بين الثراث، وسلط الضوء على وضع الانسان العربي في مواجهة ثقافته المحلية وثقافات عصره ".[2]

3- إدوار سعيد

مفكر وناقد فلسطيني أمريكي واسع الثقافة، يعد كتاب "الاستشراق" نقطة تحول معى النقد الثقافي، إذ أسس لمجال "دراسات ما بعد الاستعمار" وساهم في تفكيك الخطابات المهيمنة التي تستبعد أو تشوه الثقافات غير

[1] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، 1984، سوريا، ص74.

[2] زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط 9، 1993.

الغربية، أحدث هذا الكتاب نقلة نوعية في مجال البحث، مسلطا الضوء على العلاقات المعقدة بين الغرب والشرق العربي، وتميز بطرح عميق وتحليل دقيق، الى جانب تفاعله المباشر مع مختلف روافد الثقافة العربية، "إن مشروعه (إدوارد سعيد) الكبير يتلخص في تفكيك الفكر الغربي، ونقد هذا الخطاب الذي اخترع الآخر الشرقي والعربي والمسلم، ليميز ذاته عن آخره الذي يقع في سلم الحضارة مبررا حملته الاستعمارية على الشرق، ومن هنا عمل إدوارد منذ كتابه الأول على قراءة منظور الغرب عن ذاته من خلال رؤية الشرق اللاعقلاني".[1]

4- برهان غليون

مفكر سوري أستاذ علم الاجتماع، لديه عدة كتب، من بينها "ثقافة العولمة وعولمة الثقافة"، يمنحنا هذا الكتاب تصورا واسعا متعمقا حول تحديات العولمة وانعكاساتها كما سيتعرض المشروع الثقافي والاجتماعي والحضاري في ظل ترابط العولمة بالواقع والمستقبل، نظرا لتأثيرها الشامل على مختلف جوانب الحياة، سواء كانت اجتماعية أو ثقافية، ولديه كتاب آخر الموسوم بـ "اغتيال العقل محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية"

يرى برهان غليون أن العولمة ظاهرة اجتماعية حية، ومثل كل ظاهرة اجتماعية فإنها ظاهرة تاريخية تنمو وتتكامل وتتحول، وفي هذا النمو والتكامل والتحول تكون العولمة."[2]

5- عبد الله الغذامي:

[1] فخري صالح: ادوارد سعيد دراسة وترجمات منشورات الإختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر وبيروت، ط 1، 2009، ص 7.

[2] وجيه فانوس : النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية واقع الدراسات الثقافية العربية، وقائع المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 2007/11/17، ص34.

ناقد أدبي وأكاديمي سعودي، يعد من أبرز رواد النقد الثقافي في العالم العربي، حيث قدم طرحا جديدا للنقد الثقافي كبديل للنقد الأدبي التقليدي في كتابه "النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، وبعد هذا الكتاب أول مؤلف عربي يشير بوضوح في عنوانه إلى اعتماده للنقد الثقافي كمنهج للدراسة والتحليل.

– مشروع النقد الثقافي للغذامي هو مشروع يصحح علاقتنا بالماضي من خلال نقده وتحديد أنساق القيم الخادعة المختبئة في ثقافتنا وحياتنا والعمل على تفكيك عراها وأواصرها تمهيدا لتغييرها."[1]

6– جابر عصفور

كاتب ومفكر ومترجم وباحث أكاديمي مصري لديه عدة كتب في هذا المجال من "بينها الهوية الثقافية والنقد الأدبي "، " أوراق ثقافية: ثقافة المستقبل ومستقبل الثقافة "، "آفاق العصر قراءة التراث النقدي".

مع الصعوبات التي واجهها النقد الأدبي العربي وضعف الهوية الثقافية، حاول بعض النقاد البحث عن حلول تساعد على تجاوز هذه الأزمة.

7– عز الدين مناصرة:

شاعر، مفكر وناقد أكاديمي فلسطيني، لديه عدة كتب من بينها "النقد الثقافي المقارن "، "المثاقفة والنقد المقارن" ركز على قضايا الهوية، السلطة، الاستعمار الثقافي خاصة في الأدب الفلسطيني وفي هذا الصدد يقول "النقد الثقافي هو الأخذ من كل علم بطرق".[2]

وقد كان النقد الثقافي في العالم العربي مجالاً مهماً شارك في تطويره عدد من المفكرين والنقاد، مما جعله أداة فعالة لفهم وتحليل الواقع الثقافي والفكري المعاصر.

[1] حسين السماهيجي وآخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2003، ص 64.

[2] عز الدين مناصرة: الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، الصايل للنشر والإشهار، عمان، الأردن، دط، 2014، ص 7.

4) الخلفية الفكرية والفلسفية :

يستند النقد الثقافي إلى مجموعة من الأسس الفكرية والفلسفية، التي تشكل خلفيته النظرية وتوجه مساراته التحليلية، هذه الأسس مستمدة من تيارات فكرية مختلفة تشمل: الماركسية، البنيوية، التفكيكية، وما بعد الحداثة وعلم الاجتماع ..... وقد أسهمت هذه التوجهات الفلسفية في بلورة النقد الثقافي كمنهج نقدي يسعى إلى تفكيك الأنساق الثقافية وكشف الاديولوجيات المتحكمة في تشكيل الخطابات المختلفة.

1- **الماركسية:** لعبت الماركسية دورا جوهريا في تحليل النقد الثقافي حيث قدمت مفاهيم رئيسية مثل الإديولوجيات، البنية التحتية والفوقية، الاغتراب ... انطلق كارل ماكس من فرضية أن الثقافة ليست كيانا مستقلا بل هي جزء من من البناء الاجتماعي العام، تتأثر بالعلاقات الإقتصادية والسياسية، وقد تبنى النقد الثقافي هذه الرؤية.

"الماركسية التاريخانية الجديدة، المادية الثقافية، ما بعد الكولونيالية، هذه كلها ساهمت في إنضاج النقد الثقافي مستفيدة من الربط بين الأدب والمجتمع ومشفوعة بالتفسير المادي للتاريخ."[1]

"وقد كان لمرجعيات الفكر الماركسي الدور الكبير في صياغة المصطلحات الواردة في منظومة النقد الثقافي وقد أصبحت جزءا منه من قبيل البنية التحتية، الفوقية الطبقية، الاغتراب، الاديولوجية الإمبريالية الثقافية والهيمنة"[2].

تعد الماركسية من أبرز الأسس التي أثرت في تطور النقد الثقافي، حيث وفرت إطارا لعهم العلاقة بين الثقافة والسلطة والاقتصاد تنطلق الماركسية من أن البنية التحتية الاقتصادية للمجتمع تتحكم في بنيته الفوقية التي تشمل

[1] عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة على سلطة النص، عالم المعرفة، ع 298، مطابع السياسة، الكويت، ط 1، 2003، ص 246.
[2] حفناوي بعلي، مرجع سابق، ص 54.

المؤسسات الثقافية والفكرية والدينية، ووفقا لهذا المنظور فإن الثقافة لا تنتج بمعزل عن السياقات الطبقية والاقتصادية، بل هي انعكاس لصراعات طبقية توظف فيها الاديولوجيا لخدمة مصالح الطبقة المهيمنة.

وبدا الفكر الماركسي فكرا مغذيا لخطوط النقد الثقافي ولا سيما فيما يتعلق بتغييب فكر المركزيات والمهيمنات، وشيوع روح الكرنفال في فضاءات النقد التي دعا إليها باحثين، حيث أن كل شيء مباح في الكرنفال، فيتعايش العالي والواطيء، الشعبي والرفيع، الخلفي والأمامي، الكبير والصغير، المرأة والرجل.[1]

2- التاريخانية الجديدة:

تعد التاريخانية الجديدة امتدادا فكريا لمرحلة ما بعد البنيوية ففي عام 1980 طرح قرين بلات مصطلح الجماليات الثقافية وبعد عامين (1982) استخدم مصطلح التاريخانية الجديدة، وفي عام 1988 عاد الى مصطلح الجماليات الثقافية.

"تأتي التاريخانية الجديدة كنظرية في القراءة والتأويل، من حيث أنها سعي إلى أرخنة النصوص وتنصيص التاريخ، والنص هنا علامة ومؤشر أسهمت التاريخانية الجديدة في كشفه حينما أخذت شبكة العلاقات النصوصية التاريخية في اعتبارها النظري بما أنها خطاب مزدوج".[2]

تندرج التاريخانية الجديدة ضمن التيارات النقدية التي برزت في سياق مرحلة ما بعد البنيوية، وتعد امتداد لمناهج النقد اللساني التي أحدثت تحولا جذريا في دراسة النصوص، من خلال التركيز على العلاقة بين النص والسياق التاريخي وهذا ما يسمى بأرخنة النصوص أي كلاهما يخلق الآخر.

[1] بشرى موسى صالح، بويطيقا الثقافافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 2012، ص 15.
[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 45.

– هي تدمج التاريخ والنص حيث ترى ان التاريخ ليس مجرد خلفية، بل هو خطاب مشحون ايديولوجيا يتداخل مع النصوص.

ما قاله جوته من قبل على أن التاريخ البشري يحتاج إلى من يعيد كتابته من وقت لآخر مما يجعل التاريخ نصاً قابلاً للتجدد ".[1]

هي عملية تفاوض مستمر يعيد النظر في مواقع القوى الثقافية والنصية والسياسية المعقدة بين الماضي والحاضر وتفصيل بين آنذاك والآن".[2]

3– التفكيكية:

مؤسسها هو جاك دريدا، وهي من التيارات التي أثرت بقوة على تطور النقد الثقافي، وهي منهج نقدي فلسفي يقوم على تفكيك النصوص للكشف عن تناقضاتها الداخلية، وزعزعة المعاني الثابتة أو المركزيات التي تبنى عليها المعرفة واللغة والهوية، فهي تقوم على تفكيك الثنائيات مثل العقل/ الجسد، الذكر/ الأنثى، الشرق/ الغرب فالنقد الثقافي يتعامل مع النصوص بوصفها تمثيلات السلطة، الهوية، الطبقة، الجندر، العرق .... ، فالتفكيكية تقدم أدوات لفهم كيف تعمل هذه القوى داخل النصوص لهذا استفاد النقاد الثقافيون من أدوات التفكيك لتفكيك الخطابات.

" الذي قدمه جاك دريدا والذي يقوم على تحليل النصوص وتفكيك المعاني التي تبدو بديهية، من أجل الكشف عن تناقضاتها الداخلية ".[3]

[1] عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 46.

[2] دانكان سالكليد: التاريخانية الجديدة، موسوعة كومبريدج في النقد الأدبي، تر: دعاء إمبابي، ص 102.

[3] عبد القادر الرباعي، دراسات في النقد الثقافي، مكتبة الفكر، عمان، 2004 م، ص 103.

استراتيجية التفكيك تنطلق من موقف فلسفي مبدئي قائم على الشك حيث حوّل التفكيكيون هذا الشك الفلسفي إلى نقد جذري تمثل في رفضهم للتقاليد السائدة، مستندين في ذلك إلى الأسس التي وضعها جاك دريدا وميشال فوكو والتي تقوم على مبدأ الهدم وإعادة تفكيك المفاهيم القائمة".[1]

4- نظريات ما بعد الحداثة:

ما بعد الحداثة ظهرت كرد فعل على الحداثة وتقاليدها العقلانية الشمولية، والايمان بالحقيقة المطلقة، فالنقد الثقافي بدوره رفض فكرة النقد الأدبي، ما بعد الحداثة أزالت الفروق بين الأدب الكلاسيكي والثقافة الشعبية.

نظريات ما بعد الحداثة رفضت الأفكار المطلقة وتركز على التعددية والتنوع الثقافي كعناصر أساسية في تحليل الخطابات الأدبية والثقافية".

"وما بعد الحداثة أسلوب في الفكر يبدي ارتيابا بالأفكار والتصورات الكلاسيكية، كفكرة الحقيقة والعقل والموضوعية والهوية، وفكرة التقدم الكوني أو الانعتاق والأطر الأحادية، والسرديات الكبرى أو الأسس النهائية للتفسير".[2]

"نظريات ما بعد الحداثة رفضت الأفكار المطلقة وألحت على التعددية والتنوع الثقافي كعناصر أساسية في تحليل الخطابات الأدبية والثقافية."[3]

"ما بعد الحداثة يشير التي أسلوب أو طريقة التفكير أو الحركة الفكرية والثقافية التي انبثقت من هذا الوضع التاريخي الذي يطلق عليه ما بعد التحديث."[4]

[1] فنست ليتش: النظرية الأدبية وما بعد البنوية، تر: هشام زغلول، المركز الثقافي القومي، القاهرة، 2022، ص 65.

[2] ايغلتون تيري، أوهام ما بعد الحداثة، تر: ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018 م، ص 15.

[3] حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد المقارن، الدار العربية للعلوم بيروت 2007م، ص 14.

[4] إيجلتون : أوهام أبعد الحداثة ، تر: منى سلام ، اكاديمية الفنون، القاهرة، 1996 م، ص 7.

- ولعل كل هذا من أبرز سمات ما بعد الحداثة التي رفضت السرديات الكبرى التي تتمثل في التشكيك في فكرة الحقيقة الموضوعية والتي تعتمد على تعدد القراءات والمعاني للنص الواحد وتهتم بالهامشي والمقصي، فهي ترفض المطلقات.

5- الدراسات الثقافية:

الدراسات الثقافية هى حقل أكاديمي متعدد التخصصات، اهتم بتحليل الثقافة من منظور اجتماعي وسياسي مع التركيز على الثقافة الشعبية، الهيمنة والسلطة، الهوية، وسائل الإعلام، الحياة اليومية.

الدراسات الثقافية ترى أن الثقافة ليست بريئة، بل تخدم.

5) علاقة النقد الثقافي بالنقد الأدبي

يمثل النقد الثقافي امتدادا للنقد الأدبي، حيث يتجاوز الحدود التقليدية للنص الأدبي ليربطه بسياقه الثقافي الأوسع، فيما يركز النقد الأدبي على تحليل "البنى الجمالية واللغوية للنص"[1] ليأتي النقد الثقافي ليكشف "عن كيفية تشكيل النصوص للإيديولوجيات وتأثرها بالسياقات التاريخية والاجتماعية"[2] وهكذا يمكن اعتبار النقد الثقافي تطوير الأدوات النقد الأدبي، حيث يضيف إليه أبعادا تحليلية جديدة.

على الرغم من التقارب بينهما، يختلف النقد الثقافي عن النقد الأدبي في المنهج والهدف، فالنقد الأدبي "يقيم النص بناء على معايير فنية وجمالية".[3]

أما النقد الثقافي فيغوص في أغوارها باحثا عن الأنساق الثقافية التي تمررها هذه النصوص.

---

[1] كولر جوناثان، نظرية الأدب، تر: فخري صالح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 45.

[2] ادوارد سعيد الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 1، 1993، ص 62.

[3] كما أبو ديب في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974، ص 25.

يمثل النقد الثقافي أحد التحولات المعرفية في مسار الدراسات الأدبيه حيث تجاوز المقاربة الشكلانية والجمالية للنصوص، متجها نحو تحليل البنى العميقة والأنساق الثقافية التي تنتجها وتعيد إنتاجها الخطابات الأدبية، فالنص الأدبي لم يعد يُقرأ بوصفه كيانا جماليا خالصا، بل بوصفه حاملاً لخطابات إيديولوجية تسهم في تكوين الوعي الجماعي أو إعادة إنتاج السلطة وعلى صعيد العلاقة بين النقد ين "النص الأدبي لا يفهم خارج سياقه الثقافي، إنه منتج إيديولوجي بامتياز مهما ادعى البراءة الجمالية".[1]

– من هذا المنظور لا يمكن النظر إلى النقد الثقافي كقطيعة كاملة مع النقد الأدبي، بل هو بالأحرى تطوير له، يفتح أفقا جديداً في قراءة النصوص من منظور علاقتها بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي، فهو يستثمر أدوات النقد الأدبي، لكنه يوسعها لتشمل مفاهيم مثل: النسق، التمثيل، الهوية، السلطة والجندر، فـ" النقد الثقافى ليس بديلا عن النقد الأدبي، بل هو توسعة له باتجاه مساءلة الخطاب بدل الوقوف عند مكوناته الفنية فقط".[2]

وتتجلى خصوصية النقد الثقافي في كونه يساءل المسكوت عنه فى الخطاب الأدبي، ويفضح التحيزات الطبقية أو الذكورية أو القومية التي قد يتضمنها النص، وفي هذا الصدد يؤكد عبد الله الغذامي أن النقد الثقافي "يتعامل مع النص لا بوصفه موضوعا جماليا ، بل بوصفه خطابا ثقافيا يحتوي على أنساق مضمرة تحتاج إلى تفكيك".[3]

"إن مهمة النقد الثقافي هي مساءلة النصوص لا تقييمها وكشف ما تحمله من قيم ثقافية لا شعورية".[4]

وعلى الرغم من اتساع أفق النقد الثقافي، إلا أنه لا يلغي دور النقد الأدبى، بل يعمل معه في علاقة جدلية، إذ يمكن الجمع بين المقاربة الشكلانية التي تعنى بجماليات النص، والمقاربة الثقافية التي تشتغل على أبعاده المرجعية.

---

[1] إيهاب حسن : أدب ما بعد الحداثة، تر: بدر الدين مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،ط 1، 2006، ص 51.

[2] عبد المجيد نوسي: النقد الثقافي وتفكيك الخطاب العربي المعاصر، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2011، ص 39.

[3]عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، مرجع سابق، ص14.

[4] عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 25.

"النقد الأدبي يهتم بكيفية القول، أما النقد الثقافي فيسأل: لماذا قيل هذا ؟ و لصالح من ؟" [1]

فكلاهما يحللان النص وإن اختلفت الزاوية، فالنقد الأدبي يدرس كيف يعبر الشكل عن المضمون، بينما يدرس النقد الثقافي كيف يعكس المضمون الواقع الثقافي، فلا ينظر للنقدين كخصمين، بل كمنهجين متكاملين، فالنص الأدبي ليس كيانا معزولا، بل هو جزء من نظام ثقافي أوسع، يوضح هومي بابا "لا يمكن فصل الأدب عن الثقافة فكل نص يحمل بصمة عصره".[2]

– فالنقد الأدبي والثقافي ليسا متناقضين، بل متكاملين فالأول يمنحنا أدوات لفهم الجماليات، والثاني يربط النص بواقعه، ويختصر فانسان جوف الفكرة بقوله " أفضل القراءات هي التي تجمع بين عمق النص واتساع الثقافة". [3] ويمكن القول إن أفضل القراءات النقدية هي تلك التي تستفيد من كلا المنهجين: تحلل النص من الداخل بمنظور أدبي وجمالي، ثم تفتحه على أبعاده الثقافية الأوسع، وهذا ما يؤكده تيري إيجلتون بقوله "لا يوجد نص عظيم بلا سياق، ولا يوجد سياق ثقافي حي بلا نصوص عظيمة"[4] وهكذا فإن الجمع بين المنهجين يُثري عملية التحليل، ويجعل قراءة النصوص الأدبية أكثر عمقا وشمولية، فالأدب ليس مجرد كلمات منمقة، بل هو أيضا مرآة تعكس هموم المجتمع وتطلعاته.

6) الأدوات الإجرائية في النقد الثقافي:

يعد النقد الثقافي من المناهج الحديثة التي تجاوزت حدود النقد الأدبي التقليدي إلى استقصاء البنى العميقة للخطاب الثقافي، بحثا عن أنماط السلطة والمعرفة والتمثيل، ولتحقيق هذا الهدف يعتمد النقد الثقافي على مجموعة من الأدوات الإجرائية التي تمكنه من تفكيك النصوص والكشف عن أنساقها المستترة، وتفحص الجملة

[1] سعيد بنكراد: سيميائيات الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 76.

[2] هومي بابا: موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004، ص 89.

[3] فانسان جوف: شعرية الرواية، تر: لحسن أحمامة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص 89.

[4] تيري إيجلتون: كيف نقرأ للأدب، تر: محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013، ص 124.

الثقافية التي تنتج المعاني وتعيد إنتاجها، تشمل هذه الأدوات مفاهيم مثل: النسق الثقافي، التمثيل، الخطاب، التفكيك والتحليل الإيديولوجي، حيث تعمل مجتمعة على تفتيت البنى السردية، وإبراز ما تخفيه من علاقات القوة والهيمنة، ومن خلال توظيف هذه الأدوات سيتطيع الناقد الثقافي أن يعيد قراءة النصوص ليس بوصفها كيانات فنية فحسب، بل باعتبارها منتجات ثقافية تعبر عن تحولات المجتمع وصراعاته، ما يفتح أفقا رحبا لفهم أعمق لديناميات الثقافة والمعنى، فهذه الأدوات هي التي تساعد الناقد الثقافي على تفكيك الخطابات، ورصد الأنساق الثقافية المضمرة التي تشكل الوعى الجماعي، وتزداد الحاجة إلى أدوات دقيقة حيث يكون المنظور المعتمد ذا طابع نسقي، يركز على تتبع البنى اللاواعية المنتجة للمعنى، وليس فقط على المضامين الظاهرة للنصوص.

1- النسق المضمر:

هو البنية اللاوعيه التي تسلل إلى الخطاب الأدبي وتوجه معناه من دون أن يصرح بها صراحة، هذه الأنساق تعمل كإيديولوجيات متخفية تعيد إنتاج الهيمنة الثقافية عبر اللغة، وتمرر تحت ستار الجماليات أو القيم الظاهرية "النسق يخفي نفسه داخل البنية الجمالية للنص، ويتسلل عبر اللغة بوصفها وسيلة تواطؤ ثقافي"[1] ويقصد كذلك "بالمسكوت عنه الثقافي" وهو ما يفلت من الرقابة الظاهرية ولكنه يتجلى عبر التكرار أو المفارقة في المعنى.

فهو يقوم على تتبع ما يُقصى أو يسكت عنه في النص أي ما لا يقال صراحة ولكنه حاضر بوصفه خلفية ثقافية مضمرة، هذا التحليل يساعد على كشف تناقضات الخطاب وعلى فهم الكيفية التي يعاد بها إنتاج الهيمنة الرمزية.[2]

[1] عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، مرجع سابق، ص16.

[2] ينظر عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، د ط، 1999م، ص 21.

"يرى عبد السلام المسدي أن "النسق الثقافي المضمر هو ذلك الحضور الخفي للثقافة، الذي يتسلل عبر النصوص دون أن تعلنه اللغة مباشرة، الجنّه يُحاك من خلال آليات ثقافية عميقة".[1]

ويذهب ادوارد سعيد إلى أن "الثقافة لا تظهر فقط فيما يقال أو يكتب صراحة، بل في المسكوت عنه، حيث يكمن النسق المضمر الذي يعيد إنتاج الهيمنة والتصورات المسبقة".[2]

كما يشير علي حرب أن "تفكيك النصوص لا يعني البحث عن ظاهرها، بل عن مكامن النسق الثقافي الذي يشتغل في اللاشعور الاجتماعي للمجتمع والنص معا".[3]

ويؤكد بول ريكور إلى أن "النص يخفي تحت ظاهره السطحي طيات من الأنساق الثقافية المضمرة، التي لا تنكشف إلا عبر القراءة المتأنية المتفحصة للعلاقات الداخلية والخارجية للخطاب".[4]

2-الدلالة النسقية:

هي نتاج العلاقة بين المعنى الظاهري للنص والمعنى الأعمق الذي ينتجه النسق المضمر، إنها التحول من التلقي الجمالي إلى التلقي الإيديولوجي، حيث تُفهم اللغة مع ضوء انتمائها إلى نسق ثقافي معين.

" الدلالة النسقية لا تشتق من من مفردات النص بل من السياق الثقافي الذي يُنتجه، فكل نص يتضمن دلالة صريحة وأخرى نسقية مضمرة".[5]

---

[1] عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981، ص122.

[2] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 1 ، 1993، ص 12.

[3] علي حرب : النص والحقيقة : نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2006، ص77.

[4] بول ريكور: نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2006، ص 74.

[5] عبد المجيد نوسي: النقد الثقافي وتفكيك الخطاب العربي، مرجع سابق، ص41.

" الدلالة النسقية لا تُستخلص من ظاهر النص فقط، بل معناه مين اشتغال النص ضمن منظومة ثقافية تحكم معناه وتعيد إنتاج قيمه ضمن سياق أوسع من حدود الجملة اللغوية".[1]

" كل دلالة نصية مشروطة بانتمائها إلى نسق ثقافي أوسع يضفي عليها معاني إضافية تتجاوز مقاصد المتكلم المباشرة".[2]

" إن الدلالة ليست مجرد علاقة بين دال ومدلول، بل هي نظام نسقي معقد يحكمه منطق ثقافي واجتماعي تتولد عنه معاني متعددة داخل النص".[3]

تُظهر أقوال النقاد أن الدلالة النسقية تتجاوز حدود المعنى الظاهري للنصوص، لتتصل بمنظومة ثقافية أوسع تحدد شروط إنتاج المعنى وتأويله، فكل دلالة نصية مشروطة بالنسق الذي تنتمي إليه، ما يعني أن فهم النص يتطلب إدراك البنية الثقافية التي تشكله، والعلاقة بين الدال والمدلول ليست علاقة آلية، بل تبنى عبر نظام نسقي معقد تنتجه الثقافة، فالنسق الدلالي نفسه هو نتاج تواطؤ ثقافي غير مرئي يفرض شروط التأويل على المتلقي، فالمعنى خال لا يوجد مستقلاً، بل ينتج داخل شبكة من العلاقات النسقية التي تحددها الثقافة.

وهكذا يتبين أن دراسة الدلالة النسقية تقتضي الانتقال من تحليل النصوص بوصفها كيانات لغوية مفتوحة على شبكة معقدة من العلاقات والمعاني.

– فالدلالة النسقية ترتبط بقراءة المعنى في علاقته بالسياق الثقافي، أي أن الدلالة لا تستخرج من مفردات النص فحسب، بل من وظيفتها داخل ثقافة معينة، فمثلا صورة المرأة في الخطاب الشعري الجاهلي لا تُفهم بمعزل عن النسق الذكوري الذي كان يهيمن على بنية القبيلة، كما أن الدلالة النسقية تكشف عن التوتر الظاهر والمضمر

[1] عبد الله الغذامي النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 22

[2] بول ريكور نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى: ترد سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 45.

[3] محمد مفتاح، مقاصد القصيدة: العناية بالبنية الثقافية للنص الشعري، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط 1، 2006، ص 60.

بين ما يصرح به النص وما يُسكت عنه، وهي بذلك تُعد مدخلاً حيويا لفهم الأبعاد الإيديولوجية التي قد تبدو غير ملحوظة في القراءة الجمالية التقليدية، فالدلالة النسقية لا تتحقق الا بالمرور بثلاث مراحل وهي الدلالة الحرفية، الدلالة المجازية الإيحائية والدلالة النسقية الثقافية.[1]

يرتبط المعنى بالسياق لا بالنص وحده، فالنص يعمل. كجزء من منظومة ثقافية أوسع".[2]

3- الوظيفة النسقية:

الوظيفة النسقية تشير الى الكيفية التي يساهم بها النص في تعزيز أو مقاومة أنساق ثقافية سائدة، فالخطاب الأدبي ليس بريئا، بل هو فاعل ضمن شبكة. من الوظائف الرمزية التي تخدم أحيانا السلطة أو تعارضها، كما ذكر سعيد بن كراد " أن الخطاب يمتلك وظيفة نسقية تحدد موضعه داخل الصراع الثقافي فهو إما أن يعيد إنتاج النسق أو يفككه"[3]، بمعنى أن كل نص يسهم بوعي أو دون وعي في مشروع ثقافي ما، إما أن يكون امتداد لهيمنته، أو اختراقاً لها.

تشير الوظيفة النسقية إلى الكيفية التي يعمل بها النص ضمن نسق ثقافي معين، بحيث لا يقرأ النص ككيان مستقل، بل كمكون ضمن منظومة واسعة من الخطابات، تتجلى هذه الوظيفة في الطريقة التي يعيد بها النص إنتاج أنساق مثل السلطة الأبوية، الهيمنة الدينية أو التفوق الطبقي، ويبرز هذا التحليل ما يمكن تسميته بـ" التميز البنيوي " داخل النصوص أي تلك الاختيارات الأسلوبية والموضوعية التي تظهر انحيازا غير واع نحو نسق

[1] ينظر عبد الفتاح أحمد يوسف، ليسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2010.

[2] نصر حامد أبوزيد: النص، السلطة الحقيقة: الفكر الديني بين إدارة المعرفة وإدارة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2000، ص32.

[3] سعيد بن كراد، سيميائيات الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011، ص 83.

مهيمن، يرى الغذامي أن "الناقد الثقافي لا يكتفي بتفسير المعاني بل يبحث عن الأنساق التي تنتج تلك المعاني وتعيد تدويرها ضمن الثقافة".[1]

فالغذامي يرى ضرورة ربط النقد الثقافي بالنسقية فهو يستند على نظرية جاكوبسون في التواصل التي نقلها من الإعلام والاتصال إلى الأدب، فقد أضاف لعناصر الرسالة العنصر السابع وهو العنصر النسقي لأنه إذا وصلت إلى التأويل تنفصل عن الشعرية وتدخل إلى النسقية.

"الوظيفة النسقية للنصوص الثقافية تكمن في كونها لا تفهم بوصفها معزولة، بل كعناصر داخل شبكة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية".[2]

"تظهر الوظيفة النسقية حينما يقرأ النص بوصفه تعبيرا عن علاقات القوة والصراع الاجتماعي، لا مجرد بنية لغوية معلقة."[3]

- تعد الوظيفة النسقية أحد المفاهيم المحورية في النقد الثقافي، فالنصوص تسهم في بناء الثقافة عبر موقعها داخل البنية العامة للمعاني، فلا تكتسب دلالتها من مضمونها المباشر فقط، بل من علاقتها بالنسق الثقافي الأشمل، وينظر الى النصوص الأدبية والغنية بوصفها أدوات لإنتاج المعاني وتوزيعها ضمنى فضاء الأنساق الاجتماعية السائدة.[4]

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 32.

[2] الجابري محمد عابد: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1990، ص 45.

[3] تيري إيجلتون فكرة الثقافة، أكسفورد، بلاكويل، 2000، ص 34.

[4] ينظر سعيد يقطين: الفكر الأدبي العربي، البنيات والأنساق، دار الأمان، ط 1، الجزائر، 2014، ص 75.

4- الجملة الثقافية:

تمثل الجملة الثقافية نمطا من التراكيب المفاهيمية التي تنتجها الثقافة وتعيد توظيفها داخل النصوص بشكل غير مباشر، وهي تستخدم كأداة لتحليل كيف تتسلل الأنساق إلى أبنية الخطاب وتتحول إلى حقائق رمزية، فقد نجد جملة ثقافية واحدة مقابل عدة جمل نحوية، فالجملة الثقافية هي بيت القصيد وهي التي تهمنا، لأن النسق الثقافي يتحرك عبر جمل ثقافية غير ملحوظة.

تعرف الجملة الثقافية بوصفها تركيبا ذهنيا تعيد الثقافة إنتاجه بشكل مذكور داخل الخطابات المختلفة إلى درجة يتحول فيها إلى "بديهية رمزية " وهي ليست بالضرورة جملة لغوية، بل قد تكون تمثيلاً أو سردية أو صورة ...

تمثل الجملة الثقافية مفتاحاً لفهم الكيفية التي يعاد بها إنتاج الهيمنة التقافية، فهي بمثابة "قوالب جاهزة " تحقن داخل النصوص، وتمرر من خلالها أنساق القوة والمعرفة فـ " الثقافة تصوغ جملها الخاصة تلك التي تصبح لاحقا بنية ذهنية عميقة تؤطر التفكيك والتعبير".[1]

يتضح من خلال هذا العرض أن النقد الثقافي وخاصة في بعده النسقي يعتمد على أدوات تحليلية تتجاوز التفسير السطحي للنصوص نحو تفكيك السياقات الأعمق التي تنتج المعنى وتسهم كل من الوظيفة النسقية الدلالة النسقية والجملة الثقافية في بناء قراءة ثقافية قادرة على فضح آليات الهيمنة الرمزية في الخطاب.[2]

7) سمات وخصائص النقد الثقافي:

[1] سعيد بن كراد، سيميائيات الثقافة، مرجع سابق ص 66.

[2] ينظر صلاح قنسوة، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، ط1، القاهرة، مصر، 2007، ص37.

يعد النقد الثقافي من أبرز التحولات المعرفية التي حسب حقل الدراسات الإنسانية، إذ لم يعد يكتفي بالتعامل مع النصوص من منظور جمالي صرف، بل تجاوزها إلى مساءلة البنى الثقافية والفكرية التي تتحكم في إنتاج المعنى وتشكيل الوعي، ومن خلال هذا التوسيع في مجال اشتغاله، اتسم النقد الثقافي بمجموعة من السمات التي تميزه عن غيره من الإتجاهات النقدية وعلى رأسها التكامل، الشمولية، الضرورة، الاكتشاف والحرية ، فهذه الخصائص ليست فقط سمات تقنية بل هي امتدادات لجوهر النقد الثقافي بوصفه مشروعا معرفيا يسعى التي فضح السلطة الرمزية، وكشف المستويات الخفية للهيمنة داخل الخطاب الثقافي.

التكامل:

يتسم النقد الثقافي بخاصية التكامل، حيث يفتح آفاقه على تخصصات متعددة كالأنثروبولوجيا، السوسيولوجيا، الفلسفة والسيمائيات ..... مما يمنحه قدرة تحليلية مركبة، فالنص من منظور ثقافي لا يقرأ داخل حدوده الشكلية، بل يفكك ضمن شبكة معقدة من العلاقات المعرفية التي تتقاطع فيها اللغة مع السلطة، والجمال مع الإيديولوجيات [1]، وهذا التكامل المنهجي يمكن الناقد من فهم الظاهرة الثقافية في سياقاتها المختلفة، وهذا ما يعكس طبيعة النقد الثقافي بوصفه ممارسة متعددة الروافد والأدوات.

إن النقد الثقافي لا يرفض باقي أنواع النقد، لكنه يعارض أن يسيطر نوع واحد منها وحده على الساحة النقدية. فهو لا يقتصر على منهج أو مجال معرفي واحد بل يجمع بين الأدب وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا، الفلسفة الدراسات الإعلامية وغيرها، لفهم النصوص والظواهر الثقافية بوصفها كيانات معقدة ومترابطة.

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 45.

" النقد الثقافي يعتمد على سمة التكامل بوصفها ضرورة منهجية، لأن الظواهر الثقافية لا يمكن ردها إلى مكون واحد، بل هي نتاج تفاعل عوامل متعددة ومتشابكة".[1]

" ليس هناك من نقد ثقافي دون تجاوز للحدود الصارمة بين الفنون والمعارف فالتكامل هو ما يمنع النقد الثقافي طابعه الشمولي وقدرته على المساءلة الجذرية".[2]

الشمولية :

فهي امكانية الانفتاح على النصوص، باعتبار أن كل تجل ثقافي هو موضوع صالح للتحليل، فلا فرق بين قصيدة وشعار تجاري، أو بين رواية وخطاب سياسي لأن "الثقافة ليست مجال معزولاً بل ساحة صراع تتقاطع فيها مختلف قوى التأثير والتشكيل".[3]

بهذه الرؤية يصبح النقد أداة لفهم الإنسان داخل مجاله الرمزي والمعيشي .

– يعمل النقد الثقافي على توسيع أفق النقد ليشمل مختلف جوانب الحياة، مما يمنحه آفاقا جديدة إذ أن جميع مجالات النشاط الإنساني بحاجة إلى النقد لتحقيق الأهداف ذاتها التي تسعى إليها النقد الأدبي.

الضرورة

تعد الضرورة أحد السمات الجوهرية للنقد الثقافي إذ ينبني على حاجة معرفية ملحة لكشف آليات الهيمنة الرمزية داخل الخطابات، فالمعاني التي نستهلكها يوميا ليست بريئة بل " تحمل في طياتها أنساقا سُلطوية تُخفي نفسها خلف ما يبدو طبيعيا أو بديهيا."[1]

[1] السريحي سعيد بن قاسم: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، نادي جدة الأدبي، جدة، ط 1، 2000، ص 45.

[2] رولان بارت: الصورة والموسيقى والنص، دار هيل اند وانغ، نيويورك، 1977، ص89.

[3] ادوارد سعيد الثقافة والإمبريالية، مرجع سابق، ص 14.

لقد غذا النقد الثقافي بهذا التصور، ضرورة لا يمكن تجاهلها، فهو يمثل طرحاً يستدعي منا التأمل الجاد والتفاعل الواعي، من خلال تمحيص عناصره واختيار ما يتماشى منها مع منظومتنا الفكرية السابقة، كما أنه يحثنا على إعادة النظر في مفاهيمنا الحياتية، بما يفتح لنا آفاقا جديدة للإستفادة من هذا الطرح، اذن الحاجة الى التغيير تفرض علينا البحث عن بدائل قادرة على الإسهام في تحسين واقعنا أو استبدال بعض مفاهيمنا القديمة بما هو أنسب.

الاكتشاف

يمتاز النقد الثقافي بقدرته على الاكتشاف أي الخوص في الطبقات العميقة للنصوص والظواهر والحفر فيما هو مسكوت عنه، وهو لا يكتفي بوصف المعنى بل يسعى إلى تتبع الشروط الثقافية التي أتاحته، ويعبر ميشال فوكو عن هذا المعطى بقوله " ليست مهمة الفكر أن يقول الحقيقة بل أن يكتشف ما الذي يجعل قول الحقيقة ممكنا في لحظة ما."[2]

يهدف النقد الثقافي إلى تسليط الضوء على جماليات معايرة سواء داخل النصوص الأدبية أو في الواقع ذاته باعتباره نصا مفتوحا على التأويل، يحمل رموزه وإشاراته التي تستدعي الفهم كما يعمل على إبراز ما تختزنه هذه العلامات من معان، وما تنطوي عليه من أنساق ذات دلالة، تسهم في تشكيل الرؤية الإنسانية والفكرية للعالم.

الحرية

تعد الحرية سمة أساسية فى النقد الثقافي، إذ تتيح للناقد الانعتاق من الضوابط التي تعرضها المؤسسات الأكاديمية، أو الأطر التقليدية للقراءة فالنقد الثقافي يرفض أن يُختزل في قوالب جاهزة أو أن يُسجد داخل أجناس أدبية

[1] بير بورديون الهيمنة الذكورية ، تر: سلمى مبارك، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2009، ص 138.

[2] ميشيل فوكو، مرجع سابق ص171.

مغلقة، ويؤكد تيري إيجيلتون في هذا السياق أن " الناقد الذي لا يزعج القارىء أولا يطرح أسئلة غير متوقعة، هو مجرد بوق للسلطة الثقافية"[1]، ومكذا تتحول الحرية إلى ممارسة معرفية تعيد مساءلة كل ما هو ثابت ومألوف.

[1] تيري ايجيلتون: ما بعد النظرية، تر: ثائر ديب المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 102.

الفصل الثاني: النقد الثقافي
بين التنظير والتطبيق

الفصل الثاني: النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق

1 – النقد الثقافي بين التنظير الغربي والتنظير العربي

أ – النقد الثقافي في المشهد النقدي الغربي

ب – النقد الثقافي في المشهد النقدي العربي.

2– النقد الثقافي بين الإجراء الغربي والمجال العربي.

أ – في الإجراء الغربي.

ب– في الإجراء العربي

يمثل النقد الثقافي أحد الاتجاهات المعاصرة في الحقل النقدي، وقد نشأ استجابة لحاجة ملحة إلى تجاوز حدود التحليل الأدبي التقليدي، والانفتاح على مقاربة النصوص ضمن سياقاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية، فقد بات واضحا أن الخطاب الأدبي لا ينتج من فراغ فقد بات مع منظومة معرفية تشكله وتوجهه.

وفي هذا الإطار يتراوح النقد الثقافي بين مستويين متكاملين: أحد هما نظري يسعى التي تأصيل المفاهيم وتحديد المنطلقات المنهجية، وآخر تطبيقي يختبر تلك المفاهيم على نصوص أو ظواهر محددة، مما يظهر جدوى هذا النقد وفعاليته في تفكيك البنى الرمزية للخطاب الثقافي، غير أن التوتر القائم بين التنظير والتطبيق يثير أسئلة حول حدود النقد الثقافي ومرونته، ومدى امكاناته في تحليل النصوص المختلفة خارج الإطار الأدبي الصارم، يهدف هذا الفصل التى استكشاف هذا التداخل بين البعدين النظري والتطبيقي مع النقد الثقافي، من خلال تتبع أبرز ملامحه المفاهيمية وتبيان آليات استغاله في مقاربة الخطاب، مع التوقف عند نماذج تطبيقية تبرز مدى حضور الخلفية الثقافية عند في تشكيل المعنى وإنتاج الدلالة.

1- النقد الثقافي بين التنظير الغربي والتنظير العربي:

أ- النقد الثقافي في المشهد النقدي الغربي:

النقد الثقافي في النظرية الغربية يهتم بكشف العلاقة بين العالم المتخيل في النص (الشخصيات ما تقوله وتفعله) والعالم الواقعي (سلوك الناس وأفكارهم فى المجتمع) أي أنه لا يقرأ النص الأدبي على أنه مجرد خيال، بل فيه مرآة تعكس أو تناقش أو تتحدى ثقافة المجتمع وقيمه السائدة، فالنصوص الأدبية في هذا المنظور ليست منفصلة عن الواقع، بل هي مشاركة فيه، وتعيد إنتاجه أو مساءلته من خلال رموزها وشخصياتها وأحداثها، مع انبثاق عصر التداخل المعرفي والثقافي تلاشت الفواصل الصارمة بين الحقول المعرفية والثقافات المختلفة، مما أفضى إلى بلورة

توجهات معرفية ما بعدية تعكس تحولات الفكر المعاصر"[1] تداخلت مع غيرها من الاتجاهات، إذ يشيع الحديث عن اضمحلال الحدود، مثلا بين النقد والفلسفة، فقد يتعذر عليك تحديد أو تصنيف الباحثين في اتجاه أو خانه بعينها، فهذا ميشال فوكو يتنقل بين الفلسفة والتاريخ والعلوم الإنسانية دون أن ينتسب الى اتجاه معين، و هذا شأن دريدا أيضا بوصفه ناقدا أدبيا فى أمريكا أو باعتباره ناقداً للتحليل النفسي أو اللسانيات المعاصرة أو حتى الفلسفة والحقوق والفكر السياسي في مناطق أخرى "[2]

يمثل النقد الثقافي في السياق الغربي منظورا تحليليا بتجاوز القراءة النصية التقليدية حيث يستند إلى جملة من النظريات الحديثة التي تتقاطع فيما بينها، فقد كان لعدد من المفكرين بمن اشتغلوا بمسائل اللغة والنقد والعلوم الإنسانية، دور بارز في تأسيس هذا الاتجاه الأمر الذي يضعهم في موقع ريادي ضمن المنظرّين الثقافيين، وفي هذا الإطار يرى ميشال فوكو أن "كل ممارسة خطابية مشروطة بسياقات السلطة والمعرفة"[3]، ويتجلى هذا الارتباط الوثيق بين تشكل المعنى والأنساق التي تتحكم في إنتاجه، وهو ما يشير إليه ادوارد سعيد حيث يرى أن النقد الثقافي يفضح الأنساق المضمرة التي تُشِرْ عن الهيمنة الاستعمارية داخل النصوص"[4] ويؤكد جول ستوري "أن النقد الثقافي لا يدرس النصوص بمعزل عن سياقها بل يعاملها كمنتجات ثقافية تعكس علاقات السلطة والمعنى".[5]

وانطلاقا من هذا التداخل النظري يستند النقد الثقافي التي أدوات مستمدة من الأدب والجماليات والفكر الفلسفي، ويتوسع ليستعمل ممارسات المؤسسات الثقافية بما تحمله من أبعاد رمزية وسياسية، مما يجعله مجالا معرفيا

[1] ينظر أرثر ايزابرجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم ورمضان بسطاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003، ص52.

[2] عبد السلام بن عبد العالي: ميتولوجيا الواقع، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1999، ص 21- ص 22.

[3] ميشال فوكو: أركيولوجيا المعرفة (حفريات المعرفة)، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2004، ص .34

[4] ادوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، المرجع نفسه، ص 42.

[5] جون ستوري: النظرية الثقافية والثقافة الشعبية: مقدمة قصيرة، تر: أحمد يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص .15

منفتحا يتناول النصوص الأدبية في سياق علاقاتها بالبنى الثقافية والاجتماعية، ويؤسس بذلك لرؤية نسقية تتجاوز النظرة الجمالية التقليدية.

لقد تطور النقد الثقافي في السياق الغربي ليغدو أداة تحليلية تتجاوز الاشتغال على البنى النصية إلى مساءلة البنى الثقافية العميقة التي تنتج المعنى داخل المجتمع، ففى هذا الإطار أضحى النقد الثقافي يُعنى بالحقائق الكبرى التي تكتسح العالم وتعرض نفسها إلى معايير مهيمنة مثل مفهومي "الحداثة " و "العولمة " حيث ينظر إليها لا بوصفها معطيات معايدة بل كمنتجات ثقافية تعمل في طياتها أنساقا ايديولوجية ، ومن هذا المنظور يتم التركيز على دور المؤسسات في بناء تلك الحقائق وتثبيتها داخل الوعي الجماعي، وهنا تبرز الوظيفة النسقية للنقد الثقافي، إذ يسعى التي تفكيك العلاقة بين الخطاب الثقافي وتلك المؤسسات مما يجعل من الدلالة النسقية أفقا لفهم كيفيات انتاج المعنى داخل الجملة الثقافية، لهذا فالنقد الثقافي لا يكتفي بوصف الظواهر بل يُسائل نسقها الداخلي، ويكشف ما تنطوي عليه من علاقات سلطة وهيمنة وإقصاء.[1]

كما يولي النقد الثقافي اهتماما بالغا بطبيعة السلوك الإنساني كما يظهر في الواقع المجتمعي سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، إذ ينظر الى هذا السلوك بوصفه تمثيلا للأنساق الثقافية التي تشكل وعي الانسان وتوجه أفعاله، فالسلوك لا يفهم لمتصرف فردى عفوي بل كنتاج لخطابات اجتماعية وايديولوجية متداخلة تحدد ملامح الهوية وترسيخ أنماط من الطاعة أو المقاومة أو الامتثال للسلطة، ومن خلال تحليل هذه التمظهرات السلوكية، يسعى النقد الثقافي إلى تفكيك الأليات التي تعيد إنتاج السلطة والهيمنة داخل النسيج الاجتماعي، مما يتيح فهما أعمق للعلاقات الثقافية التي تعيد تشكيل الواقع بشكل مستمر.

تلعب الأعمال الأدبية، والنخب الثقافية ، والفلكلور الشعبي دورا محوريا في تشكيل وعي الأفراد وإعادة إنتاج المنظومات الثقافية في المجتمع، فالأدب لا ينظر إليه بوصفه تعبيرا فرديا خالصا، بل هو كما يرى لوسيان

[1] ينظر سمير خليل، النقد الثقافي: من النص إلى الخطاب، دار الجوهري، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 76.

غولدمان "بنية دلالية تعكس بنية المجتمع"[1] ، إذ يعبر الكاتب عن رؤية جماعية للعالم ترتبط بشروطه الطبقية والاجتماعية و من هذا المنطلق تبرز النخب الثقافية بوصفها القوة التي توجه هذا الإنتاج وتعيد تأطيره، حيث يوضح ميشال فوكو أن "النصوص لا تنتمي تماما لمؤلفيها بل تصل عن شبكة من العلاقات الثقافية التي تمنحها معناها"[2] على الرغم من تعدد البيئات الجغرافية التي ينتمي إليها رواد النقد الثقافي كألمانيا، روسيا، فرنسا، إيطاليا، وتعد محاولة ضبط التنظيرات الغربية في حقل النقد الثقافي مهمة بالغة التعقيد، ويعزى ذلك إلى عدة عوامل متداخلة، أبرزها الطابع الطابع المتغير والدينامي للمنظرين الغربيين أنفسهم، حيث أن كثيراً من مواقفهم ومفاهيمهم قد شهدت تحولات واضحة عبر الزمن تبعا لتغير السباقات الفكرية والمعرفية التي اشتغلوا ضمنها، كما أن عددا كبيرا من هؤلاء المنظرين لم يكرسوا جهودهم حصراً للنقد الثقافي بل جاء انخراطهم فيه من بوابات نقدية ومنهجية أخرى مثل الماركسية أو التحليل النفسي أو البنيوية، أو حتى التيارات الكلاسيكية المحافظة، وهذا الإنخراط المتعدد يجعل من الصعب تصنيف قراءاتهم بوصفها قراءات ثقافية خالصة، لأنها غالبا ما تكون ملونة أو مشروطة بالمنهج الأصلي الذي يتبناه الناقد وهو ما يؤدي في الأخير الى طغيان الخلفية المنهجية أو التخصصية على المقاربة الثقافية، حيث نلحظ أن الدراسة التي يفترض أن تكون متمركزة حول تحليل النسق الثقافي للنص، تصبح مندرجة ضمن أولويات و توجهات نقدية مغايرة، ويعود ذلك جزئيا إلى الطبيعة التداخلية لحقل النقد الثقافي ذاته، وأيضا إلى الخلفيات المتنوعة للباحثين الذين ينتمون غالبا إلى تخصصات وحقول معرفية متباينة، مما يضفي على النقد الثقافي طابعا مركبا يتجاوز لكونه إطارا منهجياً مستقلا.[3]

1) عند فينست ليتش

[1] لوسيان غولدمان: من أجل سوسيولوجيا الرواية، تر: حسين فهمي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1985، ص 47.

[2] ميشيل فوكو: ما المعرفة؟ تر: سالم يفوت، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1989، ص 89.

[3] ينظر ميشال فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط3، 2004، ص 95.

يعتبر مشروع ما بعد الحداثة من أكثر الاتجاهات الفكرية تعقيدا وتشعبا وقد ساهمت عدة دراسات في تشكيل معالمه الأولى، ومن بين هذه الدراسات يبرز العمل المهم الذي أنجزه "فنست ليتش " حيث قدم مفهوم النقد الثقافي بوصفه إطار الفهم التحولات المعرفية والاجتماعية التي صاحبت ما بعد الحداثة، وجعل هذا المفهوم مرتبط ارتباطا وثيها بالبنيوية وما بعد البنيوية وفي السياق ذاته، وعلى المنوال ذاته يعد كتاب "نظرية ما بعد الحداثة " الذي ألفه دوغلاس كيلر وستيفن بينست عام 1991، امتدادا نقديا لهذه التوجهات لما يحتويه من تقاطعات فكرية مع ما طرحه أيزابرجر في تقنيات وسائل الإعلام.

وعند الرجوع الى العمل التأسيسي لفينست ليتش يتبين اهتمامه البالغ بمفهوم الخطاب إذ عالجه بوصفه بنية دلالية وثقافية مستقلة، مستعينا بمجموعة من الأدوات الإجرائية المتنوعة لتحليله، وقد أمكن تلخيص منهجه القرائي في هذا السياق ضمن ثلاث محاور مركزية[1] تشكل مرتكزات اشتغاله النقدي وهي كالآتي:

1- النقد الثقافي لا يهتم بالجمال كما تحدده المؤسسة، لأن هذه الأخيرة تضع قواعد محددة لما هو جميل، أما النقد الثقافي فهو لا يلتزم بهذه القواعد، بل يهتم بالنصوص والأفكار التي قد تراها المؤسسة قبيحة أو غير مهمة، هدفه أن يكشف المعاني المخفية فيما يتم تهميشه أو إبعاده عن دائرة الاهتمام وأن يكشف كيف تستعمل بعض الجهات مفهوم الجمال للسيطرة على الذوق العام أو لتجاهل فئات معينة من الناس، فالجمال ليس هو الهدف عند الناقد الثقافي، بل لكشف ما هو مسكوت عنه في النص، حتى لو كان صادما أو غير مقبول تقليديا ، فالنقد الثقافي لا يُعجب بجمال الأسلوب فقط، بل يفككه ويسأل.

2- يقوم النقد الثقافي على مبدأ محوري يتمثل في منح الناقد مساحة واسعة من الحرية أثناء اشتغاله على تحليل الظواهر والخطابات الثقافية، ولا يتقيد الناقد في هذا المجال بمنهج واحد أو أداة تحليلية يعينها، بل

[1] ينظر عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 37.

يملك صلاحية توظيف مختلف المناهج التي تبلورت في حقول معرفية متعددة مثل النقد الأدبي التقليدي، ومناهج التأويل والتحليل التي أسهمت بها العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع، علم النفس والأنثروبولوجيا.

وإلى جانب ذلك يستفيد النقد الثقافي من الطروحات التي قدمتها الدراسات الثقافية المعاصرة والنقد المؤسساتي، الأمر الذي يمكنه من قراءة النصوص والخطابات ضمن سياقاتها الأوسع، وربطها بالبنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تسهم في إنتاجها وتشكيل دلالاتها.

3- تتمثل الوظيفة الأساسية للنقد الثقافي في توجيه اهتمامه التي دراسة الأنساق التي تتحكم في إنتاج الخطاب خلال تتبع دلالات وتشكيل المعاني داخل النصوص، وذلك من خلال البنى العميقة والخفية التي تساهم في صياغة دلالات النص، ويعتمد هذا النوع من النقد على أدوات تحليلية استُمدت من مشاريع فكرية كبرى مثل فوكون دريدان وبارت، فمفهوم "الحفريات والمعرفة" عند ميشال فوكو مثلا يتيح للنقد الثقافي والتنقيب في طبقات الخطاب للكشف عن أنساق السلطة والمعرفة التي تحدد كيفية تشكل المعنى في السياقات التاريخية، أما جاك دريدا فقد قدم مقولة "لا معطى خارج النص" ليؤكد أن كل دلالة تنبع من داخل بنية اللغة ذاتها، مما يدفع النقد الثقافي إلى التركيز على العلاقات النصية الداخلية بدلا من البحث عن مرجعيات خارجية ثابتة، ومن جانبه ساهم رولان بارت في ترسيخ فكرة "التفكيك النصوصي" من خلال زعزعة البنى المستقرة، وفك ترابط العلاقات التقليدية بين الدال والمدلول، مما أتاح للنقد الثقافي أدوات التفكيك للأنساق المضمرة وتعرية ما يخفيه النص من سلطات رمزية وإيديولوجيات ثقافية.

في سياق تطوير رؤيته القراءاتية يستفيد ليتش من مفهوم أنظمة الحقيقة لدى ميشيل فوكو وبعيد صياغته ضمن إطار ما يسميه بـ" الأنظمة العقلية واللاعقلية" ليستخدمه في تحليل الايديولوجيا وفتح مجالات أوسع أمام النقد الثقافي، ومن هذا المنطلق، يتعامل مع العمل الأدبي بوصفه كيانا متكاملا يمكن تفكيكه على مستويات

متعددة، ويقدم ليتش في هذا السياق ثنائية "التحليل الوظيفي" و"النقد الوظيفي " بوصفهما جانبين متقابلين داخل العملية القرائية وتتم هذه العملية بشكل جدلي وطبيعي، لأن هذه الأنظمة العقلية ليست ثابتة، بل تتغير مع تغير الظروف والسياقات، لذلك لا تتجه القراءة نحو معنى ثابت واحد، بل تتعدد وجهاتها وتظهر هذه الأنظمة بوضوح في مواقف التوتر والخلاف خاصة في قضايا الهوية والعلاقة مع الآخر، أو في صراعات الذات الداخلية، حيث تحاول الذات مواجهة السلطة المؤسساتية من خلال تبني وُجهات نظر بديلة تثبت من خلالها هويتها.[1]

يرى ليتش أن الخطاب النقدي التقليدي ليس محايدا، بل يشبه المؤسسة التي تفرض سلطة معينة على طريقة فهم النصوص وتفسيرها، لذلك لا يجب التعامل معه كأمر مسلم به، بل ينبغي اخضاعه للقراءة النقدية، أي تحليله وكشف ما ينطوي عليه من توجهات وأفكار مهيمنة قد تقيد الفهم أو تهمش أصواتا أخرى.

2) عند أيزابرجر:

في الواقع لا يضع أيزابرجر خطوات واضحة لتطبيق النقد الثقافي، بل يعيد ترتيب الأفكار والنظريات المعروفة بطريقة تسمح للنقد الثقافي أن يجد له مكانا داخل كل منها، ثم ينظم العملية وفق الترتيب التالي:

يرى أيزابرجر أن نظرية الأدب ترتبط ارتباطا وثيقا بالنقد الثقافي، ليس من حيث الهدف، بل من حيث الأدوات فهو لا يلغي ما تتيحه نظرية الأدب من آليات تحليلية (المحاكاة – النصوص – الأجناس الأدبية – تفسير النصوص – التأويل – نظرية التلقي – التفكيكية ....) بل يعيد توظيفها ضمن منظور ثقافي يتجاوز البعد الجمالي للنصوص نحو مساءلة تمثلاتها الثقافية والايديولوجية، وبهذا يعتبر النقد الثقافي في تصوره مشروعا مفتوحا يستثمر البنية القراءاتية للنصوص الأدبية من أجل تفكيك القيم والمعاني التي تنتجها او تخفيها ضمن السياق

[1] ينظر طارق بوحالة: أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، الجزائر، ط1، 2021، ص 61.

الثقافي الاجتماعي الأوسع، فهو يرى أن "نظرية الأدب تطرح مسائل مهمة حول النصوص والقراء والمتلقين للنصوص، وتعنى بعلاقات الأعمال الفنية بالثقافة، وعلاقة القضايا الثقافية بالمجتمع والسياسة، والنقد الثقافي لا يدور فحسب حول الفن والأدب وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والأنثروبولوجية ."[1]

– يرى أيزابرجر أن الاتجاه الماركسي يشكل مرجعية أساء اسية للنقد الثقافي، لما يتضمنه من مفاهيم وأدوات تحليلية تُعنى باستكشاف الأبعاد الإيديولوجية والسياسية للثقافة، فالماركسية تعالج قضايا جوهرية مثل الاستجواب الإيديولوجي، والامبريالية والثقافية، وآليات الهيمنة والاستنساخ الآلي للمنتجات الثقافية، إضافة التي ثقافة السياسة، وهذه القضايا تمثل في تقدير أيزابرجر عناصر بنيوية في حقل الدراسات الثقافية، إذ تتيح فهما أعمق لكيفية اشتغال الثقافة كأداة للضبط الاجتماعي، وعليه ا جان استحضار التحليل الماركسي يعد ضروريا لفهم البنية النسقية للخطابات الثقافية وتفكيك تمثلات السلطة والمعنى داخلها.

– تحظى السيميائيات باهتمام خاص داخل حقل النقد الثقافي، نظرا لما يجمع بينهما من انشغال مشترك بتحليل المعاني وآليات إنتاجها داخل النسيج الثقافي، "فالسيميائيات لا تقتصر على مقاربة النصوص الأدبية فحسب، بل تمتد لتشمل مظاهر الحياة اليومية مثل: الإعلانات والموضة وأنماط التواصل المختلفة ... باعتبارها أنساقا دالة وهي تعنى بتحليل الرموز والعلامات والشفرات، ودراسة كيفية اشتغالها داخل السياق، كما تسعى لفهم العلاقة بين العلامة وما تحيل إليه، وتتقصى طرق التفاعل بين النصوص من خلال مفاهيم مثل: التناص، التزامن، البناء والتقابل ومن هذا المنظور تتيح السيميائيات أدوات تحليلية فعالة لفهم الرسائل الثقافية وتأويلها، سواء أنتجت عبر اللغة أو عبر السلوك الاجتماعي كالهندام والجسد، فيرى أيزابرجر أنها تزودنا على وجه

[1] أيزابرجر أرثر: النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، المرجع نفسه، ص 78

الخصوص بطرق لتجلي النصوص في الثقافات، والثقافات كنصوص"[1]، نلاحظ أن أغلب المهتمين بالمجال الثقافي قد استعانوا بشكل أو بآخر بنظرية التحليل النفسي كأداة لفهم الظواهر الثقافية والإعلامية نظرا لما يتبعه هذا المنهج من مفاهيم عميقة تتصل بالبنية النفسية للإنسان، فالتحليل النفسي لا يقتصر على دراسة اللاوعي أو الذات فقط، بل يشمل مفاهيم مثل الأنا والشعور وعقدة أوديب والتسامي والنرجسية وغيرها، كما يتقاطع مع عناصر رمزية كالبطل والأسطورة، وثنائيات الذكورة والأنوثة، وتمتلك هذه المفاتيح النفسية قدرة تفسيرية مهمة تساعد على تأويل النصوص الأدبية والفنية، وفهم التمثلات الثقافة الشعبية بمختلف أنماطها وتجلياتها[2]، فهي تسمح لنا يفهم "مناطقنا النفسية العاطفية والجسدية، واللاعقلية، والخفية والمكبونة، فهذه هي المناطق التي يتصل بها الفنانون المبدعون ويهتمون بها". [3]

- أما النظرية الاجتماعية فتعد من الركائز الأساسية التي تستند إليها الدراسات الثقافية شأنها في ذلك شأن التحليل النفسي، إذ تساهم في تشكيل أرضية منهجية للنقد الثقافي من خلال اهتمامها بالبنى الاجتماعية التي تحيط بالإنتاج الثقافي والأدبي، فهي لا تكتفي بتحليل مضامين النصوص، بل تمتد إلى تتبع السياقات التي تنتج فيها الثقافة مركزة على تنوعها داخل المجتمع، من جماعات أدبية، وأنماط تفكير وتفاوت النوع الاجتماعي بين المفكرين، إلى جانب رصدها للأبعاد السياسية والاقتصادية والمادية، وما يتعلق بالمقدسات والمحرمات، والجمهور، وتنوع طبقاته، ووسائل الاتصال الجماهيري، وتوفر هذه النظرية على أدوات تتيح فهما أعمق لدور الفنون والمنتجات الثقافية في المجتمع، وتكشف عن مدى تأثيرها في تشكيل الوعي الجماعي، ومن هذا المنطلق، تقوم النظرية الاجتماعية بجمع المعطيات وتنظيمها، لتضعها أمام النقد الثقافي

[1] أيزابرجر أرثر: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 152.

[2] ينظر جاك لاكان: الكتابات، دار دبليو، نورتون وشركاؤه، 2006، ص 237.

[3] أرثر ايزابرجر: النقد الثقافي، المرجع نفسه، ص 188.

الذي يتولى مهمة دراستها ونقدها وتفكيكها، في تكامل وظيفي يجعل من التحليل السوسيولوجي من خلالهما لفهم الدلالات النسقية للعمل الثقافي.[1]

– وبهذا المنظور يأخذنا أيزابرجر في مسار بحثي ممتد يوظف فيه معظم المناهج والاتجاهات النقدية لخدمة حقل الدراسات الثقافية بشكل عام، والنقد الثقافي بشكل خاص، والنقد الثقافي في تصوره يسعى إلى تحقيق فهم شامل ومركب للثقافة في تنوع تجلياتها وتشابك مستوياتها، كما يركز على تحليل السياقات الاجتماعية والسياسية المحيطة بما هو ظاهر ومعلن، ومن هذه المنطلق لا ينحصر النقد الثقافي ضمن تخصص بعينه، بل يظل منفتحا على تسنى الحقول المعرفية والإنسانية، لا سيما تلك المرتبطة بالثقافة فى مختلف أنحاء العالم.

– وفيما يتعلق بالجانب التنظيري نجد أن النقد الثقافي استند إلى عدد من المفاهيم المفتاحية مثل مفهومي " ما بعد الحداثة " و"ما بعد البنيوية" حيث استلهم منها أهمية التحليل العابر للحدود الإيديولوجية والجمالية للنصوص، وقد انعكس هذا التنظير في أعمال عدد من المفكرين مثل: دوغلاس كيلنر – وستيفن بست اللذين طرحا مقاربات تعتمد على نقد المؤسسات وتحليل الخطابات الثقافية ضمن ما سمي بـ "نظرية ما بعد الحداثة" مؤكدين على تقاطع النقد الثقافي مع الدراسات الإعلامية وتحليل التقنيات الحديثة.[2]

– من أبرز النظريات التي يتم الاستناد إليها في التنظير النقدي الثقافي هي نظريات ما بعد الاستعمار والنسوية التحليل الثقافي والماركسي ... حيث سعى هذه النظريات إلى الكشف عن الهياكل الخفية التي تتحكم في إنتاج المعاني الثقافية، تتعامل مع هذه النظريات مع مفاهيم مثل الهيمنة الثقافية، التمثيل والسلطة الثقافية، كما يتيح النقد الثقافي للباحثين تحليل كيف تسهم وسائل الإعلام مثل السينما والموسيقى والأدب في تشكيل الأنماط الثقافية المهيمنة.

[1] ينظر ستوارت هول: الدراسات الثقافية: قراءات في الأصول التنظيرية والتطبيقية، تر: سعيد بن كراد، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2003، ص 45-75.

[2] ينظر: ايجلتون تيري: أوهام ما بعد الحداثة، تر: ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018، ص 43- ص42.

– يتبين من خلال ما تقدم أن التنظير الثقافي في المشهد النقدي الغربي لم يكن مجرد انزياح من النسق الأدبي التقليدي، بل كان تحولا معرفيا عميقا، أعاد النظر في مفاهيم النص، الذات، السلطة والهوية، من منظور شمولي يربط الأدب بسياقاته الاجتماعية والسياسية والثقافية ، لقد مثل هذا التوجه قطيعة مع القراءة الشكلانية، وساهم في فتح آفاق جديدة لفهم الخطاب الأدبي بوصفه منتجا ثقافيا متشابكا مع بنيات القوة والهيمنة، ومن خلال استحضار أهم المقاربات والنظريات التي ساهمت في بلورة هذا المسار يتضح أن النقد الثقافي الغربي لم يقتصر على كونه أداة تحليل، بل غدا ممارست فكرية تستنطق النصوص بعيون الواقع وتضع الأدب في صلب الإشكاليات الكبرى للعصر، وبذلك يغدو التنظير الغربي الثقافي ضرورة معرفية لفهم التحولات الجمالية والفكرية التي عرفها النقد المعاصر.

ب– النقد الثقافي في المشهد النقدي العربي

شهد المشهد العربي منذ تسعينات القرن الماضي تحولا لافتا تمثل في بروز ما يعرف "بالنقد الثقافي " بوصفه بديلا أو مكملا للنقد الأدبي التقليدي، جاء هذا التحول في سياق تفاعل المثقف العربي مع التحولات النظرية في الفكر الغربي، خاصة مع بروز تيارات ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار، حيث بدأ الوعي النقدي العربي في مساءلة الحدود الفاصلة بين الأدب والثقافة متجاوزا المقاربات الجمالية المغلقة نحو قراءة النصوص بوصفها حاملة للأنساق الثقافية المضمرة، وقد مثل هذا التوجه دعوة لإعادة النظر في البنى العميقة للخطاب، وفي تمثيلاته للهوية والسلطة والقيم، وعلى الرغم من التحديات التي واجهت هذا التوجيه في بداياته فقد استطاع ان يفرض حضوره تدريجيا في الساحة النقدية العربية من خلال جهود عدد من المفكرين والنقاد الذين سعوا إلى تأصيله نظريا وتطبيقه على نصوص التراث والحداثة معا، ومن هنا تبرز اهمية هذا الفصل في تتبع تشكل النقد الثقافي عربيا ورصد إشكالياته المعرفية والمنهجية ومساءلة موقعه داخل البنية الثقافية العامة، بين الانفتاح على المنجز الغربي وضرورة التأصيل المحلي.

- **عبد الله الغذامي**

من خلال الاستفادة من مناهج ونظريات نقدية غربية متعددة، وفي مقدمتها البنيوية كما طورها رولان بارت والشعرية لدى جاكوبسون، والبلاغة الجديدة، إضافة إلى التفكيكية سعى عبد الله الغذامي إلى بلورة مشروع نقدي عربي أطلق عليه "النقد الثقافي"، فعبد الله الغذامي لم يبدأ من فراغ، بل استفاد من مجموعة من المدارس النقدية الغربية — كما ذكرنا سابقا – التي كانت مؤثرة في النصف الثاني من القرن العشرين، "فالبنيوية" كما ظهرت عند رولان بارت، ترتكز على تحليل النصوص الأدبية بوصفها أنظمة من العلامات، دون الرجوع كثيرا التي نوايا المؤلف أو السياقات الخارجية، "الشعرية" عند جاكوبسون ترتكز على البنية اللغوية والجمالية للنص الأدبي، "البلاغة الجديدة " تهتم بكيفية اقناع الخطاب وجمالياته بعيدا عن البلاغة الكلاسيكية، "التفكيكية" وهي منهج ظهر مع دريدا ، تشكك في المعاني الثابتة وتظهر تناقضات النص وخفاياه.

– ومن هذه الأدوات والمفاهيم شرع الغذامي في بناء مشروع نقدي محلي ذي طابع عربي وأطلق عليه اسم "النقد الثقافي" في محاولة منه للخروج من قيود النقد الأدبي التقليدي الذي يهتم فقط بالشكل الجمالي والانفتاح على دراسة الخطابات الأدبية بوصفها حاملة السلطات ايديولوجية واجتماعية وثقافية.

– وقد حرص في هذا المشروع على تحقيق توازن بين الانفتاح على التراث العربي الإسلامي والانفتاح على منجزات الفكر الغربي، مستندا في ذلك إلى منطلقات فكر "ما بعد الحداثة " فالغذامي لم يكن تابعا للفكر العربي ولا متمسكا بالثرات فقط، بل حاول إعادة قراءة التراث من منظور تحدي معاصر مع الاستفادة من أدوات ما

بعد الحداثة، التي تقوم على تفكيك الثوابت، وتعدد الأصوات، ونقد السلطة والمعنى، ورفض المطلقات ومؤدّاها أن " العالم في مجمله علامات يجب البحث عن انساقها العامة، وفلسفة ممارسة هذه الأنساق".[1]

– ينطلق عبد الله الغذامي من بناء مشروعه النقدي من سؤال محوري يشبه الأسئلة الفلسفية أكثر مما يشبه الأسئلة النقدية التقليدية، وهو: هل يوجد شيء آخر في الأدب غير الأدبية؟ هذا التساؤل لا يطرح بعرض التأمل الجمالي في النصوص فحسب، بل يأتي كمفتاح لفهم العلاقة بين الأدب والسلطة، وكيف تعاد صياغة الذوق الثقافي العام.[2]

– الغذامي يرى أن هناك نوعين من الأدب: النوع الأول هو الأدب" الرسمي" وهو ما تحتضنه المؤسسة الثقافية وتمنحه شرعية الوجود والتقدير وذلك من خلال فرض مفاهيم معينة للجمال والقيمة الفنية وهذا الأدب يصاغ وفق أطر مسبقة، تتماشى مع مصالح المؤسسة أو السلطة الثقافية والاجتماعية، فيحتفى به ويُعطى مساحة واسعة في المستهد الثقافي.

– أما النوع الثاني، فهو الأدب الذي لا يدخل في نطاق هذا الاحتضان الرسمي بل يُترك على الهامش، وتنظر إليه باعتباره أدبا شعبيا وغير مألوف، لا يستوفي شروط الأدبية كما تحددها المؤسسة.[3]

– ومن خلال هذه الثنائية يكشف الغذامي عن حقيقة خطيرة وهي أن السلطة العربية لم تكتف بإدارة شؤون السياسة أو الاقتصاد، بل امتدت وصايتها لتشمل الذوق الفني والجمالي، حيث قامت بتحديد ما يجب أن يقرأ أو يحتفى به، وما يجب أن يقصي ويهمش، فصار بعض الأدب جزءا من المشروع الرسمي، بينما دفع ببعضه الآخر إلى خارج دائرة الاعتراف مما أدى إلى هيمنة خطاب ثقافي أحادي يقصي التنوع ويعيد إنتاج الذائقة العامة

[1] عبد الرحمن اسماعيل السماعيل: الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي (عدد 97-98 ديسمبر جانفي)، كتاب الرياض، السعودية، 2002، ص 16-17.

[2] عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص13.

[3] عبد الاه الغدامي: النقد الثقافي، ص 14- ص 15.

بما يخدم بنية السلطة لا حرية التعبير أو التعدد الثقافي، وبفصل هذا التفضيل الانتقائي التي تمارسه المؤسسة الثقافية، من خلال تبنيها لبعض النصوص واستبعادها لأخرى، نشأت إلى جانبها مؤسسة نقدية تتبنى الرؤية ذاتها، فأصبح النقد الأدبي العربي أسيرا لتلك المعايير، لا يقترب من النصوص الا من زاوية الجماليات والأسلوب، متجاهلا الأبعاد الأخرى التي قد تحملها، وهكذا انحصر دور الناقد في تتبع الأثر الفني ضمن أطر محددة مسبقا دون مساءلة السياقات أو القوى التي شكلت هذا الأدب أو دفعته الله الهامش فهو "لا يتفق مع الأعراق البلاغية أو أنظمة التعبير المؤسساتي، مما عطل الحس النقدي الفعلي في الثقافة، وجعل الناقد واحدا من حراس المؤسسة، ولم يتطور الوعي النقدي تبعا لذلك لأن النقد سلم واستسلم لشروط المؤسسة التي أسهم الناقد في إيجادها أو الحفاظ عليها "[1].

– تتجلى المشكلة هنا في بعدين متداخلين: بعد الخطاب الأدبي، وبعد الخطاب النقدي، أما الخطاب الأدبي فقد بقي أسير لأذواق مسبقة وتصنيفات جاهزة، يحررها دون أن يخرج عنها أو يختبر مشروعيتها، وأما النقد فهو بدوره محكوم بإطارات فكرية ونظرية محددة سلفا تمنعه من الغوص الحر في النصوص أو مساءلة المؤسسة الثقافية التي تنتجها وتوجه الذوق العام، فالنقد لا يجرؤ غالبا على تفكيك بنية السلطة الكامنة في الخطاب، ولا يقترب من نفقد الآليات التي تصنع شرعية الأدب، وتمنحه بعضه القبول وتحجب الآخر.

– وهكذا نجد أن كلا من الخطاب الأدبي والنقدي يتأثران بدرجات متفاوتة بالبنية الثقافية التي تحتكم إليهما، سواء بوعي أو دون وعي، فالنسق الثقافي يعمل في العمق، ويتسلل الى التفكير والتلقي والتصنيف، باعتباره جزءا من لا وعي الجماعة، يتشكل مع التحولات الاجتماعية ويعيد إنتاج نفسه في صور متعددة قد تبدو

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 58.

حيادية لكنها تخضع في جوهرها لقوى السيطرة والاحتكار الرمزي فهو "يمتلك مرونة التحولات، ويستجيب لمقتضى المتغيرات، فيتكيف معها دون أن يتلاشى جوهره"[1].

– انطلاقا من المعطيات المثيرة للتفكير، يدعو عبد الله الغذامي بوضوح إلى ضرورة إخضاع النظام الثقافي الرسمي في العالم العربي لنقد جذري يكشف آليات اشتغاله وهيمنته، فهو يرى أن الأدب والنقد كما هما في صورتهما الحالية، لا يمكن أن يتحررا أو يستعيدا فاعليتهما ما داما خاضعين لتوجيهات المؤسسة التي تتحكم في الذوق، وتعيد إنتاج التصنيفات بشكل يخدم مصالحها.[2]

– لذلك يطالب الغذامي بتحرير الخطاب الثقافي من قبضة السلطة حتى يستعيد حيوتيه ويتجه نحو قراءة الكتر صدقا وعمقا للنصوص، مثل هذه القراءة قد تقلب موازين التصنيف السائدة، فتمنح للأدب المهمش موقعا جديدا باعتباره تعبيرا صادقا عن الواقع، في حين تتراجع قيمة ما يسمى بالأدب " الرفيع " إذ تبين أنه كان مدعوما فقط من المؤسسة لا من جوهره الإبداعي، ومع ذلك يدرك الغذامي أن زحزحة هذه البنية المتجذرة أمر بالغ الصعوبة، نظرا لارتباطها العميق بالسلطة وبالأنساق المتحكمة في الوعي الجماعي ولا يتم ذلك إلا إذا "تم تحرير الفهم التقليدي لوظيفة النقد من قيوده الموروثة، الأمر الذي لا بد أن يطال الأداة النقدية، بحيث يدفع بها من الوظيفةالأدبية إلى الوظيفة النقدية".[3]

– يرى الغذامي أن تحقيق هذا التحول يقتضي سلسلة من الخطوات تهدف إلى فك ارتباط العقل النقدي العربي يهيمنة المؤسسة تمهيدا لانتقاله من الإطار الأدبي إلى الإطار الثقافي، وهو انتقال يمر عبر أربع مراحل رئيسية متتابعة وهي كالتالي:

[1] يوسف أحمد عبد الفتاح: القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المعاينة)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2003، ص122.

[2] عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ص 16.

[3] سمير خليل: النقد الثقافي: من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجوهري، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص 26

1 تحرير المصطلح.

2 – تحديد المفهوم النسق.

3 – الوظيفة.

4- التطبيق.

– ركز عبد الله الغذامي في دراسته على نقد الطريقة التقليدية التي فُهم بها الأدب العربي، أي أنه لم يقبل التفسيرات أو المناهج القديمة كما هي، بل أعاد التفكير فيها، كما سعى إلى تحرير مصطلح "النقد الأدبي" من هيمنة المؤسسات الرسمية ومن سيطرة الأفكار والمفاهيم التي توارثناها من النقد الكلاسيكي القديم، أي أنه أراد تجديد طريقة فهم الأدب ونقده، وجعلها أكثر انفتاحا وحداثة بعيداً عن القيود الموروثة.[1]

– العذامي حاول أن ينقل وظيفة النقد من الأدب إلى الثقافة أي أن يجعل النقد لا يركز فقط على النصوص الأدبية، بل يشمل الظواهر الثقافية أيضا، ولتحقيق هذا الهدف قدم أدوات ومفاهيم جديدة مثل المجاز الكلي، الثورية الثقافية، الدلالة النسقية، الجملة الثقافية، المؤلف المزدوج .... لكن المشكلة أن الغذامي في تطبيقه العملي ركز على "الجملة الثقافية" واكتفى باستخدامها ضمن الإطار العام للنسق الثقافي (أي ضمن العلاقات التي تحكم الثقافة) أما باقي المفاهيم التي اقترحها، فلم يستخدمها كما يجب، رغم أنه دعا سابقا إلى تطوير هذه المفاهيم وتوسيع استخدامها تحت ما سماه "النقلة الاصطلاحية " اني نقل المفاهيم من مجال إلى آخر، وبسبب هذا القصور المفاهيم حبيسة التنظير (لم تطبق فعليا) مما قلل من القوة الإجرائية لنظريته (أي قلل من فعاليتها عند التطبيق العملي).

[1] ينظر عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، ص 51.

الغذامي يقول أن الشعر العربي وثقافته لعبا دورا كبيرا في تشكيل شخصية الانسان العربي[1]، لكن هذا الرأي يبدو مبالغا فيه لأن الشعر لا يمكن أن يؤثر مني الناس بشكل كامل لدرجة أن يصنع شخصيتهم، الشخص العربي لم يتأثر بالشعر فقط، بل هناك عامل أقوى وأهم وهو النص الديني، لأنه وحده الذي كان له التأثير الحقيقي والعميق في تكوين العقلية العربية.

– الملاحظة البارزة التي يمكن لأي باحث ملاحظتها عند تطبيق منهج الغذامي، هي اعتماده على بعض الجزئيات الصغيرة التي يأخذها من نصوص مختارة بعناية، ثم يعمم بناء عليها أحكاما واسعة، وكأن هذه الجزئيات تمثل القاعدة العامة، هذا الأسلوب يتعارض مع مبادئ النقد المؤسساتي الذي يرفض مثل هذه القفزات، بل ويبتعد كذلك عن الأسس التي يقوم عليها النقد الثقافي نفسه، والذي يدعو إليه الغذامي ، إذ لا يجوز عزل النصوص الأدبية عن السياقات الاجتماعية والتاريخية التي خرجت منها، ثم ربطها بدلالات او أنساق لا تمت إليها بصلة أوتم استيرادها من مجالات أخرى لا تتناسب مع النص المدروس، والأخطر من ذلك، أن الغدامي يبدأ من نتيجة جاهزة، ثم يبحث في التفاصيل لتبريرها بدل الانطلاق من معطيات موضوعية تؤدي إلى النتيجة ولأن البحث الجاد يتطلب أدلة قوية، متكررة واضحة عبر فترات طويلة من الشعر العربي، لا يمكن الاكتفاء بعدد محدود من الأمثلة المختارة، مهما كان عددها، لأن ذلك يضعف مصداقية البحث، وهذا النهج يعرض أفكار الغذامي، على الرغم من جرأتها وتميزها.

2– النقد الثقافي بين الإجراء الغربي والمجال العربي:

إن الانتقال من النموذج النقدي إلى السياق العربي لم يكن انتقالا محايدا أو تلقائيا، بل واجه إشكالات منهجية ومعرفية تتصل بخصوصية البنى الثقافية العربية، واختلاف الأطر التاريخية التي نشأ فيها الخطابان، فقد ظهر

[1] ينظر عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 7.

النقد الثقافي في العالم العربي محملا بإرث نظري غربي دون آن يعاد تموضعه بالشكل الكافي داخل السياقات المحلية، مما أفرز توتر بين المرجعيات المستوردة والواقع الثقافي العربي.

أ- في الإجراء الغربي:

يتبين من مسار تطور النقد الثقافي في الغرب، منذ بداياته الأولى مع المنظرين الأوائل، ومرورا بمساهمات مدرسة فرانكفورت وصولا الى مدرسة برمنغهام للدراسات الثقافية قد تناولت البعد الثقافي في الأدب من خلال زوايا متعددة، تشتمل التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع، فقد ركزت هذه الدراسات على الأبعاد المادية والاقتصادية مستندة إلى مفهومي " المادية الثقافية" و" رأس المال الثقافي" كما أولت اهتماما بالغا لخطابات المعارضة لا سيما تلك الصادرة عن الفئات المهمشة في المجتمع.

يرى سايمونغ ديورونغ أن الدراسات الثقافية ليست محصورة في إطار جغرافي أو فكري معين، بل إنها تتجاوز الحدود القومية والثقافية لتصبح ممارسة نقدية عالمية فبعض النظر عن المكان سواء حتي الغرب أو الشرق، هناك من يسعى دائما لتحليل الثقافة سواء كانت ثقافته المحلية أو ثقافة الآخر المختلف عنه، وهذا يعكس الطابع المعولم لهذا التخصص. إذ ينشغل بدراسة الأنظمة الرمزية والمعاني الاجتماعية في سباقات متعددة، ما يجعله مجالا مفتوحا ومتعدد الأصوات والتجارب.[1]

ففي بريطانيا ظهرت الدراسات الثقافية في البداية كمشروع أكاديمي يهتم بتحليل الثقافة الشعبية ضمن المجتمع البريطاني، خصوصا في أعمال مركز برمنغهام الذي كان تحت إشراف ستيوارت هول، ومع مرور الوقت لم تقتصر هذه الدراسات على الظواهر المحلية، بل توسعت لتشمل قضايا أعمق مثل الجندر، العرق، السلطة، أما في الولايات المتحدة، فقد تداخلت الدراسات الثقافية مع الحقول النقدية الأخرى مثل دراسات ما بعد الاستعمار،

[1] ينظر سايمونغ ديورونغ: مقدمة في الدراسات الثقافية، تر: علي الغفاري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص 9-14.

النقد النسوي، الدراسات العرقية، مما منحها طابعا نقديا موجها لفهم البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تنتج التهميش والإقصاء.

– وفي السياق الأسترالي استخدمت أدوات الدراسات الثقافية لفهم العلاقة بين الثقافة والهوية ضمن واقع اجتماعي، يتقاطع فيه التاريخ الاستعماري مع قضايا السكان الأصليين، مما أتاح مساحة لتحليل تمثيلات "الآخر" ضمن الخطاب المحلي.[1]

هذه التجارب المتنوعة توضح أن الدراسات الثقافية لا تقتصر على بيئة معينة بل تتكيف مع السباقات المختلفة، وتستخدم لفهم الثقافة أينما كانت، مما يؤكد على بعدها العالمي والمعولم.

يقوم رولان بارت بتحليل غلاف لا حدى المجالات الفرنسة يظهر فيه جندي افريقي يحي العلم الفرسي، ويكشف التحليل عن أبعاد دلاليه تتعلق بتقاطع رموز اللون في العلم مع لون بشرة الجندي، واتجاه نظره نحو الراية ، مما يعكس رسائل خفية حول الولاء والانتماء، فالصورة في هذا السياق توظف لتعزيز تصور رمزي بأن جميع أبناء المستعمرات، يخدمون فرنسا بإخلاص ومن دون تمييز عنصري، في محاولة لتجميل الوجه الاستعماري للدولة الفرنسية والرد على منتقديها فيقول رولان بارت " لم نعد نقبل بالوقوف أمام النص كمتفرجين ليس بيدنا غير تلقي ما قد قاله المؤلف ".[2]

– التمثيل: وعند ذكرنا للتمثيل نجد على سبيل المثال التمثيل الاستشراقي للشرق على خطابات الغرب حيث ال يركز ادوارد سعيد على الكيفية التي شكلت بها الخطابات الاستشراقية صور نمطية مشوهة عن الشرق، حيث لم تعكس تلك التصورات الواقع الشرقي كما هو، بل ساهمت في خلق "شرق" خيالي مفارق لحقيقته، نتج عن تمثيل موجه يحمل طابعا سلبيا ومتحيزا.

[1] ينظر ترنر غرايمي: مدخل إلى الدراسات الثقافية البريطانية، تر: سعيد بوكرامي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008، ص 15-20.

[2] رولان بارت هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، 1999 ، ص 16.

فعلى سبيل المثال، يمكن استخدام رواية "1984" لجورج أرويل كنموذج بوضح كيف يمكن للرواية المنهجية التي يعتمدها الناقد أن توجه قراءته الثقافية للنص، فعند تحليل الزاوية [1] من منظور ماركسي، سيتركز الاهتمام على البنية الطبقية وصراع القوى بين الطبقات، ما قد يؤدي التي تهميش عناصر ثقافية أخرى مثل التوظيف الرمزي للتكنولوجيا في تشكيل الوعي الجماعي، أما من خلال عدسة التحليل النفسي الفرويدي، فقد ينظر إلى النظام الشمولي كأداة للهيمنة علي الذات الفردية عبر التلاعب بالذاكرة والتجربة الشخصية مما يضع بطل الرواية " وينستون سميت" في قلب صراع داخلي بين الرغبة في التحرر والضغوط الاجتماعية متجاهلا بعض الجوانب الاقتصادية والسياسية.

– ومن منظور بنيوي ستنصب القراءة على البنية اللغوية للنص والكيفية التي تنتج بها الايديولوجيا من خلال الأنظمة الدلالية حيث تصبح السلطة الثقافية مرهونة بالبنية النصية ذاتها.[2]

– هذا يوضح أن اختيار المنهج النقدي لا يؤثر فقط على زاوية النظر، بل قد يعيد تشكيل التأويل الثقافي للنص ويحد من شموليته.

ب– الإجراء العربي:

1) عند عبد الله الغذامي:

عند تتبع الأعمال النقدية لعبد الله الغذامي، يتبين أن توجهه نحو توظيف المنهج النسقي في تحليل الخطاب الثقافي لم يبدأ مع كتابه "النقد الثقافي " فقط، بل إن ملامح هذا التوجه كانت حاضرة في وقت مبكر،

[1] رواية "1984" من تأليف جورج أورويل، نشرت سنة 1949 تعالج الرواية معاناة المجتمعات من الاستبداد السياسي وهيمنه الأنظمة القمعية، يتضمن 351 صفحة.

[2] ينظر: محمد مفتاح: مقاصد القصيدة: العناية بالبنية الثقافية للنص الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 25.

وتحديد في كتابة الخطيئة والتكفير حيث ظهرت بوادر اهتمامه بتفكيك البنى الثقافية الكامنة خلف النصوص مما يدل على أن مشروعه النسقي كان يتبلور تدريجيا قبل أن يعلن عنه صراحة في النقد الثقافي.

– ينطلق في تحليل الخطاب الشعري من زاوية ثقافية من خلال نموذج المتنبي، ساعيا إلى الكشف عن تضخم الأنا كخاصية بارزة ومتجذرة في بنية الخطاب الشعري العربي ال حيث يقول " وهذه صورة نمطية تتكرر في النسق الفحولي على صورة تنوع لكنها تعطي الدلالة نفسها، ومعها يأتي الموقف من الآخر، فالذات المتعاظمة من داخلها لا يمكن ان يبقى فيها مكان للآخر". [1]

– يرى الغذامي أن الشعر أو النسق تشبه بالشعر (المتشعرن) يجسد الاشكالات البنيوية في الشخصية الثقافية العربية، وهي إشكالات امتدت لاحقا إلى الكتابة النثرية "ففي هذا الجو ولدت الخطابة لا لتؤسس نسقا جديدا، وإنما لتقوم بالدور الذي كان يقوم به الشعر، ونجد تحديدا دقيقا لدور الخطيب يحصر المهمة في اسكات الآخرين".[2]

– ويستند الغذامي في ذلك إلى خطاب عمرو بن الأهتم وسحبان بن وائل.

– يتناول الغذامي في مشروعه النقدي مفهوما محوريا هو "الفعل" حيث يعالج من خلاله التحول الجوهري في بنية الشعر العربي، موضحا كيف انتقل الشعر في أواخر العصر الجاهلي من كونه لسان الجماعة إلى تعبير عن الذات الفردية المتضخمة ويرجع هذا التحول إلى نشوء الدولة الإسلامية التي ضمنت للفرد الحماية والاستقلال، ما ألغى الحاجة إلى الولاء القبلي، ويرى الغذامي أن هذا التغيير فسح المجال للشاعر لأن يجعل من شعره أداة مدح مشروطة بمقابل، حيث يزيف الحقائق ويعمل الزيف في سبيل الكسب.

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 127.
[2] المصدر نفسه، ص 103.

– يربط الغذامي بين البنية الطبقية في الثقافة وتطور الشعر العربي مستندا الى ما قام به " ابن سلام الجمحي " حيث صنف الشعراء ضمن مراتب محددة في مصطلح "طبقات فحول الشعراء"، غير أن الغذامي يذهب إلى أبعد من ذلك، إذ يرى أن هذا التصنيف تجاوز الأشخاص ليشمل أنواع الشعر نفسها، فبات التقييم لا يقتصر على الشاعر بل يمتد إلى نوعية شعره، ومن هنا جاء تصنيفه لذي الرمة بأنه لا يتجاوز ربع شاعر لاختصار شعره على الغزل، وابتعاده عن المديح والهجاء والفخر، وهي الفنون التي كانت تعد معيار التمام الشعر أنذاك.[1]

كما ينتقد الغذامي صورة الكرم التي يمثلها "حاتم الطائي" مستندا إلى الأبيات التي يتباهى فيها بعطائه، ويرى أن هذا الكرم لم يكن مجرد قيمة أخلاقية مجردة، بل كان مرتبطا بنظام قيمي نسقي يجعل السمعة والمكانة الاجتماعية نتيجة مباشرة للسخاء والعطاء.[2]

– ينظر العذامي إلى المتنبي بوصفه تجسيدا لإشكالية عميقة في الثقافة العربية، إذ يخفي خطابه البلاغي المتقن أنساقا ثقافية مضمرة تكرس أمراض هذه الثقافة ،كما أنه يرى في تجربة أبي تمام حداثة سطحية لا تمس الجوهر، منتقدا أولئك الذين يعدونها نموذجا للتجديد واصفا إياهم بأنهم يقعون في شرك رؤية ثقافية مشوشة تفتقر للوعي النقدي فيقول "هذه هي العملية الثقافية التي يقدمها لنا أبو تمام الحداثي ويسهم علي تعزيز النسق، وغرسه في الضمير الثقافي مختفيا تحت ستار البلاغة والمجاز والجملة البلاغية التي يبدو عليها التجديد".[3]

– يرى الغذامي أن نزار قباني يمثل نموذجا للشاعر المستفحل اذ يتعامل مع المرأة في شعره بوصفها أداة لا شباع رغباته، لا لذات مستقلة تستحق التقدير فهو يمارس سلطة الذكورة بوضوح وصراحة، دون أن يتخفى خلف انسان ثقافية مستترة، على خلاف ما نجده في التراث الشعري القديم، حيث اتخذ الغزل الغزل طابعا مزدوجا يجمع بينا البعد الحسي والسمو الروحي في توازن يكشف عن رؤية أكثر تعقيدا ورهافة.

[1] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 132 وص 159.
[2] ينظر عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص 150.
[3] المصدر نفسه، ص 126.

– الغذامي يقول أن الشعر أثر على طريقة تفكير العرب فصار الناس يقلدون ما في الشعر من تفاخر وكذب ونفاق، وبدل أن ان يكون الشعر وسيلة للجمال فقط، صار ينشر أفكار سلبية، انتقلت هذه الأفكار عبر خطابات أخرى إلى حياة الناس، وتصرفاتهم اليومية.[1]

– الغذامي يرى أن نزار قباني من خلال ديوانه طفولة نهد" لم يكن يكتب شعرا غزليا، بل كان يقدم ردة فعل ثقافية منذ التغيير الذي جاءت به نازك الملائكة وتجربة الشعر الحر فينما كانت نازك تسعى الى كسر النمط التقليدي للشعر العربي وتحريره من قيود الوزن والقافية، قدم نزار ديوانا يعيد ابراز الصوت الذكوري المهيمن بأسلوب جريء يرتكز على الجسد الأنثوي ويختزل المرأة في بعدها الغرائزي.

– فهناك من أيده واتفق معه عبد الله الغذامي وهناك من رفضوا وخالف وتعرض له بالنقد نذكر منهم :

– سعيد السريحي، كان منهجه ألسني، لا يهتم بالسياقات الخارجية للنص، شأنه في ذلك شأن الغذامي أن مفهوم "موت المؤلف" يمثل مدخلا أساسيا لقراءة النصوص، إذ يمنح الأولوية لبنيتها الجمالية بعيدا عن ظروف إنتاجها، غير أن السريحي لا يحصر النص في حدوده الداخلية، بل يؤمن بانفتاحه على نصوص أخرى، مما جعل من القراءة المطولة لنص واحد وسيلة لفهم اعمق للنقل البشري وهو يتجلى من خلال الكتابة وقد بدى تأثير الغذامي واضحا في قراءاته التي كان يشاركها عبر مقالاته المنشورة في الصحف السعودية.

– تأثر عالي القرشي[2] بطرح عبد الله الغذامي، كما انعكست لدى عالي القرشي ملامح التأثر بالطرح الألسني كما ظهر في مشروع الغذامي لا سيما في تصوره للغة كنسق من الرموز والإشارات المنفصلة عن ذات المتكلم، مما

[1] ينظر عبد الله الغذامي : النقد الثقافي، ص 151.

[2] عالي القرشي: الرؤية الانسانية في حركة اللغة، كتاب الرياض، صحيفة الرياض، 1418 هـ، ص34.

يجعلها كيانا مستقلا لا يعكس بالضرورة نوايا المتكلم أو هوييه، يقول القرشي "اللغة هي قائمة على تفاعل واتصال إنساني يجعلها ظاهرة اجتماعية تدفع الفرد إلى الانشغال باللغة من من الأطر الخارجية والمرجعيات".[1]

– من الدراسات الرافضة لمشروع الغذامي نجد:

– سعيد علوش: يعد من النقاد الذين تبنوا موقفا نقديا حادا من تجربة عبد الله الغذامي في النقد الثقافي حيث تميزت قراءاته بنبرة هجومية تفتقر في كثير من مواضعها التى التحليل الموضوعي، اذ لم يقدم بديلا منهجيا واضحا لمشروع الغذامي، وقد استند في رفضه إلى موقف جوناثان كولر، الذي يرى أن الدراسات الثقافية لا تتعارض مع الدراسات الأدبية، وبالتالي فإن النقد الثقافي لا يهدف إلى إقصاء النقد الأدبي ، وقد عبر علوش عن هذه الرؤية في كتابه "نقد ثقافي أم حداثة سلفية".[2]

– حسين بن القاصد في كتابه "النقد الثقافي ريادة وتنظيرا وتطبيقا، العراق رائدا"[3] فيتخذ مشروع الغذامي موضوعا لهجوم مباشر يتسم أحيانا بطابع مذهبي أو يبدو أن هذا يهدف إلى التشكيك في مكانة الغذامي الريادية في حقل النقد الثقافي، وبدلا من الاعتراف بهذه يؤكد حسين القاصد على أسبقية التجربة العراقية ، مستشهدا بأسماء مثل محمد حسين الأعرجي، وعلى الوردي خاصة في كتابة "أسطورة الأدب الرفيع"، بالإضافة إلى حسين مردان ، معتبرا إياهم من أوائل من مهّد لهذا الاتجاه ويقول طارق بو حالة عن موقف حسين القاصد "لا يخلو من مبالغة وتعميم كبيرين ، إذ لا يمكن في أي حال من الأحوال أن نحكم ببساطة أن كتابات علي جواد الطاهر رغم قيمتها العلمية مما يمكن إدراجه تحت نشاط النقد الثقافي، كما دعا إليه الغرب، وكما استقبله الغذامي

[1] عالي القرشي: الرؤية الانسانية في حركة اللغة، المرجع نفسه، ص34.

[2] سعيد علوش: نقد ثقافي أم حداثة سلفية ؟، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2010، عدد الصفحات 221 ص.

[3] حسين القاصد، النقد الثقافي ريادة وتنظيراً وتطبيقاً، العراق رائداً، دار التجليات، القاهرة، ط1، 2013.

لأن الحكم في مثل هذه القضية يحتاج بحثا و دراسة عميقين عن ملامح الوعي بهذا النشاط، حيث لا يمكن الجزم أن أي كتابة نقدية عربية نظمها تحت مضلة النقد الثقافي".[1]

امتدادات النقد الثقافي لدى الغذامي في كتابات النقاد الثقافيين المعاصرين:

لقد فتح هذا المشروع أفقا جديدا في الممارسة النقدية العربية، وأثار تفاعلا واسعا في الوسط الأكاديمي والثقافي، حيث تباينت مواقف النقاد المعاصرين حياله بين من تبنى بعض مفاهيمه بوصفها أدوات لفهم الخطاب العربي وبين من وجه إليه ملاحظات تتعلق بحدود بحدود المنهج أو بأليات التطبيق، ومع ذلك يبقى مشروع الغذامي علامة فارقة في مسار النقد العربي ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى تتبع العلاقة بين النقد الثقافي كما طرحه عبد الله الغذامي، وبين مواقف النقاد الثقافيين المعاصرين، في محاولة لرصد مدى التأثير والتقاطع، والكشف عن طبيعة الحوار الذي نشأ بين هذا المشروع النظري وتجلياته في المشهد النقدي العربي.

عز الدين مناصرة:

عز الدين مناصرة ناقد، لديه عدة كتب نذكر منها: "لغات الفنون التشكيلية: قراءة نظرية تمهيدية – "مقدمة نظرية في المقارنة" – " المثاقفة والنقد المقارن: منظور إشكالي"، وأهم الكتاب تناول فيه النقد الثقافي هو " النقد الثقافي المقارن من منظور جدلي تفكيكي "[2]، توزعت مستويات الكتاب على 5 أقسام تناولت مجموعة من القضايا المتنوعة في ميدان النقد الثقافي.

[1] طارق بوحالة، أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، الجزائر، ط 1، 2021، ص 93.

[2] عز الدين مناصرة: النقد الثقافي المقارن من منظور جدلي تفكيكي، مجدلاوي للنشر، عمان، 2005 م.

– يستند إلى رأي وليامز في أن النقد الثقافي يركز على أن أهمية الثقافة تأتي من حقيقة كونها تعين على تشكيل وتنميط التاريخ، وأفضل ما يفعله النقد الثقافي هو وقوعه في عمليات إنتاج الثقافة وتوزيعها. واستهلاكها، وأن هناك تداخلا في الفعل الثقافي من حيث كون الثقافة تعبيرا عن الناس وفي الوقت ذاته فإنها أداة الهيمنة ".[1]

– يبدو أن المناصرة لا يميز بوضوح بين مفهومي النقد الثقافي والدراسات الثقافية، إذ يخلط بين وظيفة كل منهما، فالنقد الثقافي يركز على تحليل الأنساق الخفية في الخطاب وتأثيرها في المتلقي، بينما تهتم الدراسات الثقافية برصد آليات إنتاج الثقافة و توزيعها داخل المجتمع، ومن الأمثلة على هذا الخلط إدراجه لكتاب طه حسين " مستقبل الثقافة في مصر" ضمن النقد الثقافي رغم أن الكتاب لا يعالج الأنساق المضمرة كما يفعل النقد الثقافي، بل ينزع إلى تقديم تصورات معيارية للثقافة من خلال تصنيفات حضارية مثل ثقافة البحر الأبيض المتوسط، وهذا التوجه يقترب أكثر من نقد الثقافة الذي فرّق الغذامي بينه وبين النقد الثقافي كمجال منهجي مستقل.

– يعتبر عز الدين مناصرة الجزائري "مالك بن نبي " من أبرز المفكرين في مجال النقد الثقافي بين العرب المعاصرين ونظرا للتداخل بين مفهوم النقد الثقافي والدراسات الثقافية سواء من حيث المصطللح أو الأسلوب التحليلي، مما يدفعه إلى التركيز بشكل خاص على مصطلح النقد الثقافي المقارن.

طارق بوحالة:

توصلنا من خلال تحليلنا لكتاب طارق بوحالة "أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر"[2]، أن المؤلف نجح في توضيح الفروق المعرفية بين مفاهيم النقد الثقافي، الدراسات الثقافية ونقد الثقافة في سياق ما شهده الحقل العربي من تداخلات مفهومية بين هذه الاتجاهات، وهو ما انعكس سلبا على البنية المنهجية والاجرائية في عدد من الدراسات ذات الصلة.

[1] رايموند وليامز: طرائق الحداثة: ضد المتوائمين الجدد، تر: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص 216.

[2] طارق بوحالة: أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، الجزائر، ط1، 2021.

– تميزت هذه الدراسة يتناولها المتنوع للنصوص السردية والشعرية، سواء القديمة منها أو حديثة، معتمدة تسلسلا زمنيا يعكس تطور الأبحاث في حقل النقد الثقافي، وقد تناولت إشكالية تحديد المصطلح وتقاطعاته المعرفية والمنهجية مع إبراز أهم مرتكزاته ومجالات اشتغاله ما يتيح القارئ مدخلا مركزا لفهم هذه المقاربة النقدية، كما سلطت الضوء على أبرز الإسهامات العربية في هذا المجال، من خلال تحليل تجارب نقدية مميزة مثل تجربة يوسف عليمات في الشعر، نادر كاظم و محمد بوعزة في السرد، ويمكن اعتبار هذا العمل مدخلا منهجيا يساعد الباحث في الاطلاع على أبرز الاتجاهات النظرية والتطبيقية في النقد الثقافي، ومع ذلك فإن الدراسة لم تخل من بعض الملاحظات، من بينها تكرار المفاهيم والمصطلحات، والاختصار في بعض المواضع على قراءات عامة لمتون معينة، دون الغوص في تفاصيلها كما هو الحال مع تجربة جميل عبد المجيد التي لم تحظ بنفس العمق التحليلي مقارنة بتجربة عليمات، التي نالت حيزا أوسع وتفصيلا أدق، ومع ذلك تبقى الدراسة إضافة مهمة فتحت المجال أمام مزيد من الاهتمام بالنقد الثقافي خاصة في السياق الجزائري.

جاسم الموسوي:

يعد جاسم الموسوي من أبرز النقاد العرب الذين تميزوا بفهم عميق للنقد الثقافي، إذ استطاع توظيف أدواته النقدية بكفاءة في كتابة " النظرية والنقد الثقافي: الكتابة العربية عالم متغير واقعها، سياقاتها وبناها الشعورية"[1]، حيث يتضح إدراكه لطبيعة هذا الاتجاه بوصفه امتدادا وتطورا للنقد الأدبي، لا بديلا عنه أو منفصلا عنه.

يعالج الموسوي في قراءاته للأعمال السردية جوانبها الثقافية من خلال تطبيق منهج النقد الثقافي، مستشهدا بـ طه حسين في كتابه " المعذبون في الأرض" ومجريا مقارنة بين هذا النص ونظيره الذي حمل العنوان نفسه لفرانز فانون،

[1] جاسم محسني الموسوي: النظرية والنقد الثقافي: الكتابة العربية في عالم متغير واقعها، سياقاتها، وبناها الشعورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.

ومن خلال هذه المقارنة، يبين الموسوي التفاوت الواضح في الرؤى، إذ يركز كله حسين على نقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية وبنية الدولة الوطنية، بينما يناقش قانون مفهوم العنف الناتج عن الاستعمار إلى جانب قضايا الوعي والثقافة الوطنيين، مؤكدا أن المثقف في المجتمعات المستعمرة يجعل من القارة بأسرها فضاء لنضاله ضد الخطاب الاستعماري، وتظهر مقاربة الموسوي هذه تقاطعا بين النقد الثقافي والنقد المقارن كما تلامس أبعادا من نظرية فوكو حول السلطة والخطاب، إلى جانب تفاعلها مع أنماط الاستشراق المرتبطة بالهيمنة الخطابية في الثقافة العربية.

– يعرض الموسوي في دراسته إسمهاما يتجاوز إطار النقد الثقافي التقليدي، إذ يدمج فيه عدة تيارات من ما بعد الحداثة التي تداخلت جزئيا مع مقاربات النقد الثقافي التطبيقية، وبعيدا عن رؤية الغذامي، صاغ الموسوي تحليلا اثراء مزيجا من مناهج النقد المدني والنسوي ونظريات التلقي والدراسات الثقافية، ومع أنه تناول مسألة النقد الثقافي لم يُعر كتاب الغذامي السابق إليه أي إشارة.

حفناوي بعلي:

يتناول حفناوي بعلي في كتابه "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات "[1] موضوع التعافي المقارن بمنهجية واضحة تبدأ بتتبع جذوره الجينالوجيا وتنتهي بربط هذا النقد بالهموم الايكولوجية والبيئية، ويحرص المؤلف في كل فصل من فصول الكتاب على: تبسيط المفاهيم الفكرية المعقدة، مقدما رؤية شاملة وميسرة للقارىء، ويرى بعلي، شأنه شأن العديد من المنظرين أن النقد الثقافي ليس مجالا معرفيا مستقلا، بل ممارسة فكرية تعتمد على تداخل المناهج والنظريات، يتم تطبيقها على مجالات متنوعة تمتد من الفنون الرفيعة إلى الثقافة الشعبية والحياة اليومية، كما يؤكد على البعد التداخلي للنقد الثقافي، مشيرا الى الخلفيات المتنوعة

[1] حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: (المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007.

للباحثين فيه، ويولي اهتماما خاصا بقضايا معاصره مثل: ثقافة العلوم، ثقافة الصورة، الإعلام وصناعة الثقافة، ويُدرج كذلك موضوع الاستشراق ضمن أطر نظرية الخطاب وما بعد الاستعمار، مسلطا الضوء على أثر الاستعمار في المجتمعات الخاضعة له.

– يتبدى أن بعلي يقدم تصورا خاصا للنقد الثقافي إلا أن مقاربته تتوزع بين مرجعيات متباينة تنتمي إلى سياقات ما بعد الحداثة مثل النقد النسوي، نظريات التلقي والدراسات الثقافية، وعلى الرغم من اجتهاده ضمن هذا الإطار، فإن اسهاماته تظل محدودة ولم تنجح في بلورة نظرية نقدية أصيلة تنبع من التراث العربي، وتؤسس لجهاز مفاهيمي وإجرائي يتماشى مع خصوصيات الفكر النقدي العربي.

عبد القادر الرباعي:

ألف الرباعي كتابه "تحولات النقد الثقافي "[1] متناولا فيه التحول الجوهري الذي طرأ على ساحة النقد حيث سلط الضوء على الصراع بين تيارين بارزين، الأول يتمسك بالتقاليد الجمالية للنقد الأدبي الذي ظل مهيمنا عبر العصور، والثاني يدعو إلى تجاوز هذا التقليد، من خلال توجيه الاهتمام التى نقد الثقافة بكل ما تتضمنه من تعقيد وتشعب وصولا إلى حد إعلان "موت الأدب" ويرى الرباعي أنه الدراسات الثقافية تمثل منظومة معرفية واسعة تتابع مسيرة الإنسان ونشاطه الإبداعي من خلال أنماط فكرية وسلوكية وشعورية متشابكة تقاس بها كافة مظاهر الحياة الانسانية المادية منها والرمزية.

– يعد الرباعي من النقاد الذين من لم يقتصر يقتصر دورهم على نقل مفاهيم النقد الثقافي كما تطورت في البيئات الغربية، بل سعى إلى تكييفها مع خصوصيات السياق الثقافي العربي، عبر قراءة تحليلية اتسمت بالدقة والوضوح اذ اتخذ من أسلوبه التفسيري مدخلا لارساء تصور متكامل لمفهوم النقد الثقافي، موظفا نبرة تعليمية

[1] عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير، عمان، 2006م.

موجهة بالأساس إلى القاريء الباحث بما يعكس حرصه على بناء وعي نقدي متماسك ومع ذلك فإن الرباعي لم يكن مقلد اللطرح الغربي ولا متماهيا مع كل ما جاء به من رواد هذا الاتجاه عربيا، بل اتخذه لنفسه مسارا مستقلا عبّر من خلاله عن تحفظه اتجاه بعض المقاربات وعلى رأسها مقاربة عبد الله الغذامي، فهو وإن أشاذ بأهمية مشروع الغذامي في ترسيخ مفهوم النقد الثقافي في المجال العربي، إلا أنه انتقد بنيته النظرية، معتبراً أنها تميل الى الإحجام والتقنين في حين أن طبيعة النقد الثقافي في نظره أكثر انفتاحا واتساعا من أن تحصر ضمن منظومة مغلقة، ويبدو هذا الموقف جليا في اعتماد الرباعي على أدوات نظرية التلقي التي تسمح بقراءة تفاعلية النصوص والثقافات، وتجعل من المتلقي عنصرا فاعلا في إنتاج الدلالة، خلافا للنموذج البنيوي الذي. يتبناء الغذامي، والذي ينزع إلى إقامة بناء نظري شامل تتضمن مفاهيم محددة، ومصطلحات مضبوطة، وتطبيقات منهجية مقننة.

إن هذا الاختلاف لا يعد افتراقا جذريا بقدر ما هو تعبير عن تنوع الرؤى داخل الحقل نفسه، ويؤكد على حيوية النقاش النقدي في الفكر العربي المعاصر، خاصة فيما يتعلق بسبل تبيئة المفاهيم الوافدة، وتوظيفها بما يتلاءم مع البنيات المعرفية والسوسيوثقافية المحلية.

عند تتبع مسار النقاد العرب الذين تناولوا موضوع النقد الثقافي بالبحث والتنظير، يلاحظ الباحث أن عبد الله الغذامي قد شغل موقعا متقدما بينهم، سواء من حيث تأسيسه لمفاهيم نظرية واضحة. المعالم في هذا المجال، أو من خلال تجاربه التطبيقية التي جسدت رؤاه النقدية بشكل ملموس، مما أضفى على مشروعه طابعا من التفرد والريادة بالمقارنة مع غيره من النقاد.

الخاتمة

الخاتمة:

تمخضت هذه الدراسة عن جهد بحثي ممتد ورصين، سعى إلى استقصاء ملامح النقد الثقافي ضمن السياق النقدي العربي، وذلك في محاولة لفهم التحول الجوهري الذي طرأ على الممارسة النقدية، حيث لم يعد الأدب يُتناول بوصفه كيانا جماليا خالصا، بل أضحى يُنظر إليه كخطاب ثقافي متداخل مع الأنساق الايديولوجية والاجتماعية والتاريخية التي تشكله، لهذا توصل البحث إلى النتائج التالية:

1 – تمكن بعض النقاد العرب من استيعاب أدوات النقد الثقافي وتطويعها لكشف الأنساق في النص العربي، بينما وقع آخرون في فخ النقل الحرفي دون مراعاة للخصوصية الثقافية، مما يدل على أن المشروع لا يزال في طور التأسيس ويحتاج إلى مزيد من التأصيل والوعي السياقي.

2– مازال النقد الثقافي العربي يعاني من اختلال في التوازن بين الجانب النظري والتطبيقي، حيث يلاحظ تركيز ملحوظ على التنظير مقابل ضعف في الممارسة التحليلية الفعلية للنصوص وهذا يبرز الحاجة إلى جهد نقدي يسعى إلى دمج المفاهيم النظرية بالتطبيق العملي بشكل أكثر انسجاما وفعالية.

3– اختلفت آراء النقاد العرب باتجاه النقد الثقافي، حيث انقسموا بين مؤيد يرى فيه خطوة متقدمة تتجاوز القراءة التقليدية وتسلط الضوء على الانساق الثقافية المضمرة في النصوص، كما أبرز ذلك عبد الله الغذامي في أعماله، بينما عبر آخرون عن تحفظاتهم خشية طغيان الايديولوجيا على الجانب الفني للأدب، معتبرين ذلك تهديداً لاستقلالية الفن الأدبي، وسط هذا التباين يظل النقد الثقافي مجالا خصبا للنقاش والتطور داخل المشهد النقدي العربي.

4 – أسهم النقد الثقافي في تجديد أدوات التحليل التحدي العربي من خلال توسيع نطاق القراءة ليستعمل الأنساق الثقافية والمعاني المضمرة، وتوظيف مقاربات متعددة تتجاوز الجماليات إلى تحليل السلطة والهوية والخطاب، مما أضفى بعدا أكثر سهولا وعمقا على الممارسة النقدية.

5– تعتمد غالبية الطروحات العربية فى مجال النقد الثقافي على الأسس التي وضعها عبد الله الغذامي رغم وجود محاولات نقدية تسعى لتجاوز مرجعيته أو تقديم رؤى مغايرة.

6 – أثارت دعوة الغذامي إلى تجاوز النقد الأدبي التقليدي موجة من الجدل داخل الأوساط الثقافية العربية، حيث انقسم النقاد بين مؤيد ومعارض، غير أن صوت المعارضة كان الأبرز نظرا لما تحمله هذه الدعوة من انفتاح على مرجعيات نقدية غربية ينظر إليها أحيانا بوصفها مسعى لفرض نماذج ثقافية بديلة على السياق العربي.

7– يلاحظ وجود التباس في استخدام المصطلحات خصوصا عند التمييز بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية، ونقد الثقافة والنقد الثقافي المقارن.

8– واجه النقاد العرب صعوبات في تطبيق النقد الثقافي بسبب حداثة المفهوم، وغموض أدواته، وهيمنة المناهج الجمالية التقليدية.

9– ظل حبيس الأوساط الأكاديمية والنخبوية، نظرا لتعقيد مفاهيمه وصعوبة لغته.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ثقف)، أبو فضل جمال الدين محمد بن مكي، مجمع لسان العرب، مج 3، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، مادة (نقد) ح 14.
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4.
- أقلام الديوان، اقتباس من مقالة لادوارد سعيد بعنوان ميشان فوكو، منبر حر للثقافة والفكر والأدب.
- بشرى موسى صالح، بويطيقا الثقافافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1، 2012.
- تيري إيجلتون فكرة الثقافة، أكسفورد، بلاكويل، 2000.
- الجابري محمد عابد: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1990.
- جاسم محسني الموسوي: النظرية والنقد الثقافي: الكتابة العربية في عالم متغير واقعها، سياقاتها، وبناها الشعورية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005.
- حسين السماهيجي وآخرون: عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2003.
- حسين القاصد، النقد الثقافي ريادة وتنظيراً وتطبيقاً، العراق رائداً، دار التجليات، القاهرة، ط1، 2013.
- حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: (المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007م.
- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 2007.
- رواية "1984" من تأليف جورج أورويل، نشرت سنة 1949 تعالج الرواية معاناة المجتمعات من الاستبداد السياسي وهيمنه الأنظمة القمعية، يتضمن 351 صفحة.
- رولان بارت: الصورة والموسيقى والنص، دار هيل اند وانغ، نيويورك، 1977.
- زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط 9، 1993.

- السريحي سعيد بن قاسم: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، نادي جدة الأدبي، جدة، ط 1، 2000، ص 45.
- سعيد بن كراد، سيميائيات الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2011.
- سعيد علوش: نقد ثقافي أم حداثة سلفية ؟، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2010.
- سعيد يقطين: الفكر الأدبي العربي، البنيات والأنساق، دار الأمان، ط 1، الجزائر، 2014.
- سمير خليل: النقد الثقافي: من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجوهري، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- صلاح قنسوة، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، ط1، القاهرة، مصر، 2007.
- طارق بوحالة: أسس النقد الثقافي وتطبيقاته في النقد العربي المعاصر، الجزائر، ط1، 2021.
- عالي القرشي: الرؤية الانسانية في حركة اللغة، كتاب الرياض، صحيفة الرياض، 1418 هـ.
- عبد الرحمن اسماعيل السماعيل: الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي (عدد 97-98 ديسمبر جانفي)، كتاب الرياض، السعودية، 2002.
- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981.
- عبد السلام بن عبد العالي: ميتولوجيا الواقع، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1999.
- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، دراسة على سلطة النص، عالم المعرفة، ع 298، مطابع السياسة، الكويث، ط 1، 2003.
- عبد الفتاح أحمد يوسف، ليسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، 2010.
- عبد الفتاح العقيلي: النقد الثقافي قضايا وقراءات، مكتبة الزهراء، الرياض، السعودية، ط 1، 2003.
- عبد القادر الرباعي: تحولات النقد الثقافي، دار جرير، عمان، 2006م.
- عبد القادر الرباعي، دراسات في النقد الثقافي، مكتبة الفكر، عمان، 2004.
- عبد الله ابراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة: تداخل الأنساق والمفاهيم ورهانات العولمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، د ط، 1999م.
- عبد الله الغذامي النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2005.
- عبد المجيد نوسي: النقد الثقافي وتفكيك الخطاب العربي المعاصر، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2011.
- عز الدين مناصرة: النقد الثقافي المقارن من منظور جدلي تفكيكي، مجدلاوي للنشر، عمان، 2005.

- عز الدين مناصرة: الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النقد الثقافي المقارن، الصايل للنشر والإشهار، عمان، الأردن، دط، 2014.
- علي حرب: النص والحقيقة: نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2006 .
- كما أبو ديب في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974.
- محسن باسم الموسوعي: النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2005.
- محمد مفتاح، مقاصد القصيدة: العناية بالبنية الثقافية للنص الشعري، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط 1، 2006.
- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، د ط، د ت.
- ميجانا الرويلي وسعد البازغي، دليل النقد الثقافي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 2002.

- نصر حامد أبوزيد: النص، السلطة الحقيقة: الفكر الديني بين إدارة المعرفة وإدارة الهيمنة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2000.
- وجيه فانوس: النقد الثقافي ودراسات ما بعد الكولونيالية واقع الدراسات الثقافية العربية، وقائع المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، 2007/11/17.
- يوسف أحمد عبد الفتاح: القراءة النسقية (سلطة البنية ووهم المعاينة)، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2003.

كتب مترجمة:

- ادوارد سعيد الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 1، 1993.
- إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 1، 1993.
- أرثر ايزابرجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم ورمضان بسطاوي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، مصر، 2003.

- آرثر برجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء ابراهيم ورمضان بشطاوي، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.
- ايجلتون تيري: أوهام ما بعد الحداثة، تر: ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
- ايغلتون تيري، أوهام ما بعد الحداثة، تر: ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
- إيهاب حسن: أدب ما بعد الحداثة، تر: بدر الدين مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2006.
- بول ريكور: نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2006.
- بير بورديون الهيمنة الذكورية، تر: سلمى مبارك، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط 1، 2009.
- ترنر غرايمي: مدخل إلى الدراسات الثقافية البريطانية، تر: سعيد بوكرامي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008.
- تيري إيجلتون: كيف نقرأ للأدب، تر: محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1.
- تيري ايجيلتون: ما بعد النظرية، تر: ثائر ديب المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2005.
- جون ستوري: النظرية الثقافية والثقافة الشعبية: مقدمة قصيرة، تر: أحمد يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.
- دانكان سالكليد: التاريخانية الجديدة، موسوعة كومبريدج في النقد الأدبي، تر: دعاء إمبابي.
- رايموند وليامز: الكلمات المفاتيح: تر: نعمان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، 2005.
- رايموند وليامز: طرائق الحداثة: ضد المتوائمين الجدد، تر: فاروق عبد القادر، عالم المعرفة، الكويت، 1999، ص 216.
- رولان بارت هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، 1999.
- سايمونغ ديورونغ: مقدمة في الدراسات الثقافية، تر: علي الغفاري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.
- ستوارت هول: الدراسات الثقافية التمفصل، الهيمنة والصراع، تر: محمد مفضل، عالم المعرفة.

- ستوارت هول: الدراسات الثقافية: قراءات في الأصول التنظيرية والتطبيقية، تر: سعيد بن كراد، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2003.
- فانسان جوف: شعرية الرواية، تر: لحسن أحمامة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2012.
- فخري صالح: ادوارد سعيد دراسة وترجمات منشورات الإختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر وبيروت، ط 1، 2009.
- فنست ليتش: النظرية الأدبية وما بعد البنوية، تر: هشام زغلول، المركز الثقافي القومي، القاهرة، 2022.
- كولر جوناثان، نظرية الأدب، تر: فخري صالح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997.
- لوسيان غولدمان: من أجل سوسيولوجيا الرواية، تر: حسين فهمي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1985.
- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، 1984، سوريا.
- ميشال فوكو: أركيولوجيا المعرفة (حفريات المعرفة)، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2004.
- ميشيل فوكو: ما المعرفة ؟ تر: سالم يفوت، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1989.
- هار لمبسوهيليون ، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حميد محسن، دار ديوان للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- هومي بابا: موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004.

كتب أجنبية:

- جاك لاكان: الكتابات، دار دبليو، نورتون وشركاؤه، 2006.

الملتقيات:

- عبد الوهاب أبو هاشم، مشروع النقد الثقافي، مقدمة في ملتقى الإبداع، اللقاء الخامس.

المواقع الالكترونية:

- جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، موقع ديوان العرب، صادر بتاريخ 08/07/2012.

الفهرس

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: النقد الثقافي: الأسس والمفاهيم 4

1النقد الثقافي انفتاح المستوى الدلالي للمصطلح 4

ماهيته: 5

2) النقد الثقافي: الأسس والمفاهيم 7

3) نشأته: 9

4) الخلفية الفكرية والفلسفية: 17

5) علاقة النقد الثقافي بالنقد الأدبي 21

6) الأدوات الإجرائية في النقد الثقافي: 23

7) سمات وخصائص النقد الثقافي: 29

الفصل الثاني: النقد الثقافي بين التنظير والتطبيق..... 34

1– النقد الثقافي بين التنظير الغربي والتنظير العربي : 35

أ– النقد الثقافي في المشهد النقدي الغربي : 35

ب– النقد الثقافي في المشهد النقدي العربي 45

2– النقد الثقافي بين الإجراء الغربي والمجال العربي: 51

أ– في الإجراء الغربي : 52

ب– الإجراء العربي: 54

قائمة المصادر و المراجع: 67

الملخص:

– تناقش المذكرة واقع النقد الثقافي في الساحة العربية بين التنظير والتطبيق، مركزة على مدى استيعاب النقاد العرب لأدواته وامكانيات توظيفها في قراءة النصوص.

– تبرز الدراسة التباين بين التنظير المتأثر بالنماذج الغربية (خصوصا مشروع الغذامي) والتجارب التطبيقية التي ما تزال محدودة ومتفاوتة

– فالنقد الثقافي، رغم أهميته، لم يحقق بعد التوازن المطلوب بين العمق النظري والفعالية التطبيقية في البيئة العربية.

- **الكلمات المفتاحية:**

النقد الثقافي، النقد العربي، خطاب، المشهد النقدي العربي، المشهد النقدي الغربي، الأنساق الثقافية المضمرة.

Summary:

- This thesis explores the state of cultural criticism in the Arab world, examining the gap between theoretical frameworks and practical applications. It focuses on the extent to which Arab critics have grasped its tools and the possibilities of employing them in textual analysis.

The study highlights the contrast between theoretical discourse—often influenced by Western models, particularly Al-Ghadhami's project—and the still limited and uneven practical experiences.

Despite its significance, cultural criticism has yet to achieve the necessary balance between theoretical depth and practical effectiveness within the Arab context.

- Keywords: Cultural criticism, Arab criticism, discourse, Arab critical scene, Western critical scene, implicit cultural patterns.